

الدكتور محمد رجب البيومي

ولقد ذكرتك

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

الاستاذ بكلية اللغة العربية بالمنصورة

* * *

اكثر الكتب المدرسية تختار لشاعر الاقطار العربية خليل مطران قصيدة المساء في مجال التدليل علـى عبقريته ، والاشادة بتجديده ، والقصيدة رائعة حقا ، ولكن كثرة الاستشهاد بهـا دون نظائرها الرائعات مما يسيء الى الاساتذة المؤلفين اذ اولعوا بالترديد المتكرر حين ينقل السابق عن اللاحق ، واخال اكثر هؤلاء الافاضل حين يتحدثون عن الشعراء لا يرجعون الى دواوينهم المشتهرة بل يتذكرون ما حفظوه ايام الدراسة فينقلونه من الذاكرة في غير عناء ، وربما تفضلوا بنقل الشرح المحفوظ ايضا ! وهو داء يتطلب العلاج .

اقول ذلك لان اكثر الادباء يحفظون قصيدة المساء من عهد الدراسة ، وهي قصيدة تجمع بين وصف الالم الجسمي والالم النفسي او قل انها تصف ألما جسميا سببه الم نفسي ، وقد عناهما الشاعر الكبير حين قال :

يـا للضعيفين استبدا بي وما ... في الظلم مثـل تحكم الضعفاء
قلـب أذابته الصبابة والجوى ... وغلالـة رثـت مـن الادواء
والروح بينهمـا نسيـم تنهـد ... في حالـي التصويب والصعداء
والعقل كالمصباح يغشى نـوره ... كدري ويضعفه نضوب دمائـي

وبعد ان توجه الشاعر العاشق بالخطاب الـى حبيبته ليتحدث عن عمريه اللذين وهبهما اياها ، عمر الفتى الفاني بجسمه وعمر الادب الباقي علـى الزمن مخلدا حديثها العاطر ، اخـذ يصفها الوصف الحي الذي تمتزج فيـه الاحاسيس الرفيعة بما يومىء اليها من مظاهر الكون ، ثم انتقل الى تشريح خوالجه الدفينة حين تفرد عن الناس بصبابته وكآبته شاكيا الى البحر اضطراب خواطره فيرد عليه بالريح الهائجة العصوف ، ثاويا على صخر أصم يتمنى لو يرزق قلبا في مثل قسوته ، وتغلغل بنظره الفلسفي الى الغروب وما به من عبرة للمستهام ، اذ كان نزعا للنهار وصرعة للشمس بين مآتم الاضواء ، وطمسا لليقين ، وبعثا للشك ، ومحوا للوجود الى مدى محدود حتى يكون البعث الجديد في الصباح ، والقصيدة على عمقها الدقيق من اوائل ما نظم الشاعر في الجزء الاول من ديوانه ، وقد ختمها بقوله المبدع :

ولقـد ذكرتـك والنهار مـودع ... والقلـب بـين مهابـة ورجـاء
وخواطري تبدو تجـاه نواظري ... كلمى كداميـة السحاب ازائي
والدمع من جفني يسيل مشعشعا ... بسنى الشعاع الغارب المترائي
والشمس في شفق يسيل نضاره ... فوق العقيق على ذرى سوداء
مـرت خـلال غمامتين تحدرا ... وتقطـرت كالدمعـة الحمـراء
فكان آخـر دمعة للكون قـد ... مزجت بآخـر أدمعي لرثائـي
وكانني آنست يومـي زائـلا ... فرأيت في المـرآة كيف مسائي

وكان لنا زميل يحفظ المأثورات من الشعر ، ويضم النظائر الى النظائر ، فأخذ حين جلسنا نتدارس هـذه المقطوعة الساحرة ابتداء من قول الخليل (ولقد ذكرتك) اخذ ينشد ابياتا كثيرة من محفوظاته الغزيرة ابتدئت بقول الشاعر (ولقد ذكرتك) فأوقفنا على خوالج عاطفية ذات وهج ، اذ من الطبيعي ان يذكر الشاعر من يحب ، يذكرها في سروره المغتبط وفي اله المبرح ، واذا كان السرور لا يكتمل الا بالقرب ، فكل مشهد جميل من مشاهد الطبيعة يدفع الشاعر العاشق الى ان يحرص على اللقاء في اطاره البهيج المونق ، فاذا لم يتح له كما يريد ، هتف من اعماقه بمثل ما هتف به القائل :

ولـما نزلنا منزلا طلـه الندى ... أنيقا وبستانا من النور حاليا
أجد لنـا طيب المكان وحسنه ... منـى فتمنينا ، فكنت الامانيا

فقد نزل الشاعر العاشق منزلا أنيقا في بستان ناضر الزهر ، وشاهد من حسن المكان ما جعله يتمنى ان يكون مع حبيبته لتصبح جمالا ناطقا يضاف الى الجمال الصامت ! هذا في اوقات البهجة ، وهي نادرة في حياة العاطفيين التي تفور بالالم ، وتعج بالحرمان ، ولهذا كانت اكثـر ذكريات هؤلاء نائحة شاكية ، وكان اكثر ما بدىء منها بقول الشاعر (ولقد ذكرتك) مما يصور لواعج الوجد الدفين .

اذكر اني نشرت منذ اكثر من عشرين عاما قصيدة اقول فيها :

ولقد ذكرتك والمشارط في كف الطبيب تذيقني الويلا
ويداه مرعشتان أرعدتا خوفا فحير خوفه الاهلا
ودمي تساقط من يديه ، وعن يمناه أمي زلزلت هولا
وأبي يتمتم بالدعاء ولا ينفك يسأل ربه المولى
وأخي وأختي ساهمان أسى وكلاهما يصلي الذي يصلى
ويقول قومي : ما تراح به فاقول : مشتاق الى ليلى

والتجربة صادقة ، لم أزد عن ان عبرت عنها كما كانت ! اذ أغنت واقعيتها الصريحة عن كل اضافة يرفدها الخيال ، ولكن صاحبنا الذي روى لنا كثيرا من محفوظه الادبي ، قال في ابتسام ينبىء عن نقده المستتر : ان خاطري قد اتفق مع خاطر حفني ناصيف حين قال :

ولقد ذكرتك والطبيب بجانبي والجسم فوق فراشه مطروح
وجفون عيني باللاقط فتحت وبها المباضع تفتدي وتروح
والخيط يجذب في الجفون بابرة جذبا تكاد تفيض منه الروح

واتفاق الخاطر في منطقه الخاص فقد يوحي بالسرقة ، او بالاحتذاء المقلد ، اذا عمد الناقد لتلطيف المأخذ ، مع ان تصوير التجارب المتشابهة لا يمت الى الاحتذاء بسبب ، اذ لكل شاعر منحاه في التصوير والتعبير ، فنحن في هاتين المتطوعتين نرى اتفاقا في الاطار الخارجي لا في الصورة الداخلية ، فصاحب المقطوعة الاولى كان يجري عملية جراحية في جسمه ، وكان طبيبه مرتعشا يتخوف العاقبة في وجل ، ودمه متقاطرا يتساقط من مبضعه ، فجعل الام والاب والاخوة يتضرعون الى الله في اشفاق تارة ، ويلوذون بالوجوم تارة اخرى ، اما الشاعر الثاني فمكان الجرح في عينيه حيث سلطت الآلة الجراحية على جفنيه تمزيقا وكشطا ، وتعاقبت شكات الابرة بخيطها الممتد رتقا والتئاما ، فلكل منهما اذن جوه الخاص ، وتجربته الشخصية ، ذات الحس الصادق ، والمعاناة الاليمة ، على ان المسألة بعد ليست مسألة جزئيات ، تختلف في اطار متفق ، لأننا نرى انه لو اتحدت هذه الجزئيات كما اتحد الاطار ما كان ذلك مدعاة نقص يلحق المتأخر ، ويصمه بالتقليد ، اذ ان الامر موقوف على الصدق الفني في تصوير التجربة — حقيقية او متخيلة — مهما كانت متحدة الوقائع والاحداث ، اذ من الممكن ان يمر كلا الشاعرين بعملية جراحية متفقة ، وان يحيط بهما من الملابسات ما لا يفترق لدى احدهما في شيء ثم يعبر كلاهما عن نفسه تعبيرا حيا لا يسمح لأحد بالقول بالتأثر ، فلكل شاعر نبضه وتصويره وموسيقاه ، واذا كان توارد الخواطر حقيقة نفسية ماثلة فلماذا نجعله اداة انتقاص تشين المجيد وتوقفه ظلما موقف الاتهام ! ان الظريف المضحك ان عشرات الكتب لدينا قد وضحت مسألة السرقات الشعرية في النقد القديم والنقد الحديث بما يكشف الالتباس ، ولكننا بعد هذه الكتب المتعددة ندور في حلقات مفرغة ونتناول ما درس من القضايا وكأنه شيء جديد ؟ أفلا يرجع هؤلاء المندفعون الى القول بالتقليد او السطو الى ما قاله المتخصصون ؟

على ان مما يمنع الظن الراجم بالسرقة في التجارب المماثلة ان نرجع الى الحقيقة الانسانية الناهضة بازاء كل تجربة ، هذه الحقيقة التي تعلن — في موضوع تذكر الحبيبة — ان فترات الهول على اختلاف بواعثها ، تجعل صاحب المأساة يفكر في آماله الضائعة وأحلامه العازبة ، فالمريض في ساعة الهول اذا كان عاشقا ملتاعا فان تذكره الحبيب ضرورة حية من ضرورات كيانه الانساني ، لأن حبه اقوى وآكد من سواه ، وتذكره في المحنة القاسية صرخة هائلة من نفس تعاني من لهيب البعد ما تعانيه من مبضع الجراح ، وتعدد هذه الصرخات الصادقة لا يدل على الاحتذاء ولكن يدل على تماثل الاحساس .

نعرف ان عبدالله بن الدمينة شاعر عاشق ، وقد سجن في قضية قتل نسبت اليه ، وكانت البراءة ابعد ما يتوقع ، وقد سيق الى السجن ، وكبل بالاغلال الثقيلة ، واخذ السجان يضرب على يديه بالحديد تعذيبا وايجاعا وعيون الشامتين تراه قريرة هائنة فتزيده ألما وحرقة ، ولكنه مع ذلك يتذكر صاحبته ويهفو اليها فاذا ما تركه السجان وقتا قصيرا جاشت خواطره فنقل عن احساسه الصادق قوله مخاطبا حبيبته :

ذكرتك والحداد يضرب قيده على الساق من عوجاء باد كعوبها
فقلت لراعي السجن والسجن جامع قبائل من شتى ، وشتى ذنوبها
ألا ليت شعري هل أزورن نسوة مضرجة بالزعفران جيوبها
وهل ألقين بالسدر من أيمن الحمى مصححة الاجسام مرضى قلوبها
بهن من الداء الذي أنا عارف ولا يعرف الادواء الا طبيبها
عليهن مات القلب موتا وجانبت بهن نوى غب ، أشب شعوبها

فالسجن والقيد وعذاب الحداد مما لم يحل دون تذكار الحبيب ! وقصة قيس مع اهله شاهد آخر ، فقد سلب المجنون عقله فما يرجع اليه الا في فترات قليلة ، وعز على اقاربه ان يفقدوه هكذا دون جدوى ، فاحتالوا عليه في بعض اوقات صحوه حتى اقنعوه بأن الله قادر على شفائه ، وما عليه الا ان يحج البيت العتيق ويطوف بالكعبة ، ويدعو الله مع الضارعين ! وقد سار قيس مع ابيه وراى الموكب الحاشد يعج بالتلبية والتكبير والتهليل ، فدعا ربه ان يثوب عن كل شيء الا عن حب ليلاه ! لقد فر هاربا منها الى ربه ، فحين أزفت ساعة الدعاء تذكرها فاستثنى حبها من ان يتوب عنه ، وحفظ له رواة الشعر قوله :

ذكرتك والحجيج له ضجيج بمكة والقلوب لها وجيب
فقلت ونحن في بلد حرام به لله أخلصت القلوب
أتوب اليك يا رحمن مما جنيت فقد تكاثرت الذنوب
فأما عن هوى ليلى وتركي زيارتها فاني لا أتوب

وبعض المتشككين ينكر قول قيس هذا ، ويزعمه من افتعال الرواة ، ولكن ما ينكره هذا المتشكك احساس بشري شائع ان لم يقع من قيس فقد وقع من سواه ، الم يقل كثير عزة ؟

أناديك ما حج الحجيج وكبرت بفيفا غزال رفقة وأهلت

ثم الم يقل عمر بن ابي ربيعة ؟

نظرت اليها بالمحصب من منى ولي نظر لـولا التحرج عارم

بل الم يقل الشاعر الفقيه المتشدد عروة ابن اذينة ؟

ولهـن بالبيت العتيـق لبانـة والبيـت يعرفهن لـو يتكلـم
لـو كان حيـا قبلهن ظعائنا حيـا الحطيم وجوهن وزمـزم

ثم ألم يقل قيس نفسه مرة اخرى ؟

ولم أر ليلى بعد موقف ساعة مع الركب اذ ترمى جمار المحصب
ويبدي الحصى منها اذا قذفت به من البرد أطراف البنان المخضب

على ضوء هذا الفهم يمكننا ان نشير الـى وقائع مماثلة في عالم التذكر لنرى كيف تتجه العواطف الصادقة في مواقف الخطر وجهة المعشوق تتساءل عنه في لهفة ، وتطرب الى ذكراه في حنين ، وقد كان عنترة العبسي من اشهر من عبروا عن هذه الحالة اذ قال في معلقته الذائعة :

ولقـد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيـل الرماح لانهـا لمعـت كبـارق ثغـرك المتبسم

اذ ان المعركة ذات الرماح والسيوف لا تقل خطرا عـن العملية الجراحية ذات المباضع والمشارط ، وقد اتجه عنترة الى حبيبته في ساعة الهول ولكنه سمح لخياله ان يشتط في التصوير حين زعم انه كان يود تقبيل السيوف حين ذكره بريقها الساطع بثغر حبيبته ، مع ان تذكر الثغر ومحاولة التقبيل في هذا الموقف بعيد بعيد ، فالشاعر العاشق يذكر حبيبته في موقف الهول لمعنى انساني لا للذة حسية ، واذا كانت خطورة المعركة قد استجاشت ذكرى عبلة في نفس عنترة ، فكم من مخاطر استجاشت ذكريات الابناء والآباء والاخوة في وقت الضيق دون ان تكون هذه الذكرى مقصورة على الحبيبة وحدها !! ومن اصحاب الشعور الراقي من يتذكر عدوه في ساعة الضيق اذا كان قد كابد ما كابد من الهول ، ولا ادري اية قصة قرأتها في الزمن البعيد تدل على هذا المغزى حيث صاح البطل في لحظاته الاخيرة حين فاجأه ألم السيف الهاوي على جسده : اكذا احس غريمي ما أحسه من الكرب حينما فرحت بمصرعه ! يا لنا الله ! كلنا نتعادى على الفتات ولا نعقل ولا نفيق ؟!

على ان ذكر الحبيبة هو الاسبق دائما ، ولا اعني انها مفضلة عن الابن ، بل اعني انها غالبا تكون في الحياة قبل ان يولد الابن فتنفرد بالحب والهيام ، ولابن رشيد القيرواني موقف مماثل لموقف عنترة اذ ركب السفينة في بحر هائج مضطرب ، وقد اخذت الريح تعصف والمطر يهمى ، وصراخ الراكبين يرتفع ، وهنا تلوح الحبيبة في ذهن الشاعر فيناجيها قائلا :

ولقد ذكرتك في السفينة والردى متوقـع متلاطـم الامـواج
والجـو يهطل والرياح عواصف والليـل مسـود الجوانب داج

والامتحان ! ما أشق الامتحان على الطالب الجامعي في سنته الاخيرة ! كان معنا زميل ينظر الى الاسئلة في شرود ثم لا يجيب عنها ! وهو من الذين يجتهدون ويحرصون على النجاح ، وقد خرج من الامتحان دون ان يجيب ، فحدث اصحابه ان خصام صاحبته قد كدر مزاجه ومحا ذاكرته فما تذكر شيئا ، ولو كان الطالب شاعرا لسجل ذلك في مقطوعة ولكن هل كل الاحبة شعراء ؟

ولا اجد ختاما أروع واشجى واوقع مما قرأته للشاعر البلجيكي (موريس ماترلنك) حين قال على لسان فتاتين ، احداهما مخطوبة تحتضر ، والاخرى شقيقة تتألم :

الشقيقة : ماذا اقول له لو عاد يوما ؟

المحتضرة : قولي لـه : انتظرته حتى قضى علي الانتظار

الشقيقة : واذا استوضحني كيف جـدت بالنفس الاخير

المحتضرة : قولي له : لقد تبسمت كيلا يبكي اذا علم اني جزعت

فموريس ماترلنك يجعل الحبيبة المحتضرة لا تكتفي بذكر حبيبها ساعة النزع فقط ، بـل تجبر نفسها على الابتسام ليعرف حبيبها انها ودعت الدنيا سعيدة مبتسمة فلا يجزع ! اي سمو هذا ؟

لقد طال بنا التطواف استيحاء لقصيدة مطران وما ظننت حين البدء اني سأجمع هذه الشوارد ، وكان قدماء المؤلفين يرحبون بهذا الاستطراد ؟ فهل يتقبله القارىء الحديث ؟

المنصورة ـــ كلية اللغة العربية   محمد رجب البيومي

الموجه الكيفي والموقف

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

اكدت دراسة العلاقات المواقفية التي بين السلوك الشخصي، ومواقف الحياة على الخبرة الشعورية كفعل، وبالتالي على الظاهرة المواقفية كظاهرة صيغية وظيفية، هي فعل (الأنا) في تلاؤمها مع الحياة والواقع.

ويطلق مصطلح ـ سيتياسيونيسم ـ، اي التنظير المواقفي، على هذه الدراسات المواقفية، والتي يعتبرونها وجها منهجيا لنظرية المجال، نظرا للصلة الوثقى بين النظريتين، وخاصة دراسة السلوك على ضوء (الموقف).

وقد ذهب المنظرون المواقفيون الى انه لا سبيل الى دراسة ظواهر النفس الا عبر مجال الحياة، اي المجال النفسي الحيوي الذي للموقف الراهن، والذي بواسطته يمكن تحليل العلاقات بين الكل والاجزاء، وابراز ما وراء انماط السلوك من توجيه قصدي، وقوة محركة.

دافعية المواقف

ومن المفاهيم العلمية الرياضية التي اصطنعها الصيغيون والمواقفيون، مفهوم (الكمية الموجهة) في التوجيه، كبلوغ للهدف(1)، انها في نظرهم قوة دافعة، وتمثل دافعية المواقف، وهي التي تحدث التحرك نحو مثير، او بعيدا عنه.

وكورت ليفين يعتبر (الموجه) كيفية، وليس كمية، اي انه ينقله من مجاله الطبيعي والاجتماعي الى مجال الخبرة المواقفية كفعل، كما يعتبر (نظرية الموجه) جزءا من نظرية المجال، وبالتالي جزءا من علم النفس التخطيطي، الطوبولوجي.

ومن وجهة نظر مواقفية، هناك دائما واقع نفسي يظهر، ويتحقق، اي (الظاهرة المواقفية)، ثم الواقع الكامن، او الامكانية كممكن مواقفي، والذي يستدل عليه بآثاره، او عند حدوثه.

وذلك هو الجانب الهام، والحساس في التنظير المواقفي، لانه جانب الحرية والخلق، او لنقل جانب التعلم والاستبصار، والذي يدرسونه في دافعيته، واتجاهه، وامكانيته، مؤكدين على دور (الأنا) فيه(2).

وكنا عرضنا في دراسات(3) سابقة آراء (كورت ليفين) في السلوك، والمجال النفسي، والموقف الكلي، ونتحدث فيما يلي عن المعاني الاساسية لتصور المجال النفسي، وهي: القوة النفسية، والوضع النفسي، والامكانية.

لقد استعمل كورت ليفين مصطلح (معنى): كونستركت، في مقابل مصطلح (مفهوم)، كونسيبت، تدليلا منه على الناحية التجريبية التأليفية في هذه الظواهر المواقفية، وانه من تركيب العقل في هذه الافعال، وليس مجرد نسخة فكرية عن الموضوعات.

القوة النفسية

القوة النفسية هي العنصر الموجه، ومعناها يتضمن الافكار التجريبية التي للاتجاه، والحركة، والتغاير والتمايز. ان (معنى القوة النفسية) هو المعنى الذي للميل الى العمل في اتجاه ما، وهو الذي يميز الاتجاه، وشدته، بحيث ان القوة النفسية تتخذ اشكالا في تصرفها حسب المجال الذي لها، اي حسب مواقف الحياة.

ان اتجاه الميل الى التغير، وشدته، هما اللذان يحددان معنى القوة، في نقطة ما من المجال الحيوي. وكورت ليفين يتصور السلوك تصورا حركيا، ديناميا، يتضمن تأثيرات الهدف، وتظهر التمايزات المصاحبة للتغير الذي تجلبه القوة، في التكيف، ثم في البناء الادراكي للمجال الحيوي.

(التكيف) في نظر ليفين هو مجاراة الجو الراهن، بمعنى التناغم مع الجو المحيط، ان الانسان بتكيفه مع وسطه يجعل استجاباته من نوع المنبهات الواردة اليه، فيرد على الحنان بالحنان، وعلى العدوان بالعدوان، وعلى هذه الشاكلة يتسامح مع المتسامحين، ويعيش اجواء العدالة الاجتماعية كافة.

ويتحقق التكيف بسهولة، وبالتدريج، والمنهج التدريجي فيه هو منهج الخطوة خطوة، والذي يمكن مشاهدته في العائلة، او في الحياة العامة، في العائلة بين افراد اسرة واحدة، وفي الحياة العامة بين المدير ومرؤوسيه، او بين الباعة وزبائنهم.

ومن الامثلة عليه في المجال السياسي، (الراي العام) وتغييره، اذ يمكن خلق جو من التكيف مع الحرب، بواسطة تأثيرات من التوتر الخارجي، فيستجيب لها الشعب، ويقدم على الحرب، ويحارب مرتاحا لعمله.

ويعرف (الهدف الاجتماعي) بأنه ميل للانضمام الى جماعة ، بحيث يضع الانسان نفسه داخل جماعة ما ، او خارجها . وان الشعور بالانتماء من اهم العوامل التي تبعث الطمأنينة في النفوس ، ولـه اكبر الاثر في تنظيم الاتجاهات الفكرية للاشخاص(٤) .

البناء الادراكي للمجال

فاذا اخذنا (مجالا حيويا ما) ، اي (شخصا في بيئة) ، نجد انه يحوي على مناطق جذب ، وطرد ، كما يحوي على العلاقات التي بين الشخص وبين هذه المناطق .

ان البناء الادراكي للمجال الحيوي يتغـير ، لان مواقف الحياة تثير في كل لحظة سلوكا معينا ، يؤثر بدوره على العلاقات القائمة بين المناطق والشخص ، ويؤثر بالتالي في بناء المجال الحيوي في ادراك الشخص .

وعادة يقولون ان الذكاء هو القدرة على المرونة ، دون التمسك بموقف واحد ، وفي مجال حيوي يحوي على حواجز ، وعقبات ، الوصول الى الهدف يفرض ما يسمى بالاستبصار ، اي رؤية الشخص للجانب الخفي للمسائل .

والصيغيون يعتبرون (الاستبصار) تغيرا مفاجئا في البناء الادراكي للموقف . لان هذا التغير هو الذي يؤدي الى الحل . وينطبق الاستبصار على مجال المعرفة ، اي ادراك العلاقات بين الاشياء ، وايضا بين المعاني .

والانسان يتعلم ، او يمكنه ان يتعلم من مختلف تجاربه ، و (الحل) عادة هو اكتشاف وظيفة جديدة لشيء قديم ، والسلوك يكون قابلا للتنوع ، نتيجة الاطلاع على المناطق التي يتكون منها المجال ، وايضا نتيجة اكتشاف دلالة هذه المناطق(٥) .

وفي نظر ليفين ان (التعلم) نوع من الاتجاه ، هو يرسم هدفا ، وما يؤدي اليه من وسائل ، ولا توجد نظرية واحدة في رأيه تفسر جميع حالات التعلم ، اذ الانفعال يؤدي الى تضييق المجال النفسي ، كما ان المقاومة هي بمثابة التغير في الهدف ، وهلم جرا .

ويرى كوفكا ، في كتابه : ــ نمو العقل ــ ، ان (التعلم) يجب ان يفسر في ضوء (الاستبصار) . ولذلك هو يطبقه على التعلم الحركي ، والتعلم الادراكي ، والتعلم الاجتماعي ، وغيرها من مجالات عملية ، ونظرية .

معنى القوة وقوة المجال

ان بناء المجال الحيوي اذن ، هو الذي يعين حركات التنقل المكنة ، داخل هذا المجال في وقت ما . وان تغير السلوك يتوقف على تنظيم (القوة النفسية) ، داخل المجال .

والقوة النفسية هي التي تحدد لنقطة ما في المجال ، اتجاه الميل الى التغير ، وشدته ، وان تداخل تركيب عدد من القوى التي تؤثر في نقطة واحدة ، في وقت واحد ، تعرف بالقوة الناتجة .

والعلاقة بين القوة النفسية والسلوك ، يمكن التعبير عنها على النحو التالي :

ــ كلما وجدت قوة ناتجة ، مختلفة عن الصفر ، وجدت حركة انتقال في اتجاه هذه القوة ، او تغير في البناء الادراكي للموقف ، وهذا التغير الادراكي مساو لحركة الانتقال اياها .

والعكس ايضا صحيح ، يمكن التعبير عنه فيما يلي :

ــ كلما توجد حركة انتقال ، او يوجد تغير في البناء الادراكي توجد قوة ناتجة تعمل في هذا الاتجاه ، اي اتجاه حركة التنقل .

ومن هذه الزاوية ، يمكن تعريف (القوة النفسية) بأنها علاقة بين منطقتين او اكثـر في المجال الحيوي ، والتعريف هنا يقوم على فكرة التوجيه الاساسية في بحث الهدف ، وتحقيقه ، فالقوة النفسية هي الصلة التي تربط بين منطقة الشخص ، ومنطقة الهدف .

والقوة النفسية التي تدفع الشخص نحـو تحقيق هدفه يسمونها : (قيمة ايجابية) ، والتي تدفعه بعيدا عـن هدفه يسمونها : (قيمة سلبية) . ان (القيمة) خاصية ذهنية للهدف ، او لمنطقته في المجال الحيوي ، او هي قيمة الشيء ، الهدف او منطقته ، عند الشخص(٦) .

والهدف من طبيعته له صفة جاذبة ، في حين ان الحاجز له صفة منفرة(٧) ، والسؤال يصير : ــ ما هي الصلة بين قيمة القوة ، وشدتها ؟ ! . وعادة ، هـم يدرسون هذه الصلة من زاوية (المسافة) بين منطقتي الشخص وهدفه ، ويبحثونها في التوتر الانفعالي(٨) ، والصراع مما سنفصل القول فيه بعد .

نماذج القوى

ان الشخص عندما يقترب من الهدف تضعف شدة قوته النفسية ، ويرى (كورت ليفين) ان الشخص (ش) في حالة عمله لبلوغ آخر منطقة من المناطق التي تفصله عن هدفه (هـ ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) ، فانه عندما يصل الى منطقة (هـ ٤) تصبح قوته النفسية (هـ هـ) ، وليس (ش هـ) ، بمعنى ان الشخص في دائرة الهدف يخاف تجاوز الهدف ، او فواته .

ان شدة القوة النفسية تضعف عندما يقترب الشخص من الهدف ، ناهيك ان وجود الشخص في منطقة الهدف

يفيد ان (الهدف) اصبح في متناوله ، ولكنه لا يفيد استيلاءه على الهدف ، او ايضا الاتصال المباشر به .

وهذا يفسر لماذا تفقد الاشياء رونقها ، وجاذبيتها بعد ان تصبح مملوكة للشخص . كما انه يفسر لماذا تكون اللذة في السعي الى الامتلاك ، اكثر منها في الامتلاك .

(القوة النفسية) تتغير شدتها تبعا للمنطقة التي يوجد فيها الشخص(٩) ، في حين (القيمة) شيء يعود الى الحاجة ، والرغبة عامة . القوة تتغير بتغير الحركة ، والاتجاه ، ولكن قيمتها شيء يتعلق بالامكانيات ، وطبيعة الامور .

ونماذج القوى خمسة : دافع ، ومانع ، ومثار ، ومطابق ، ولا شخصي .

١ ــ (القوة الدافعة) هي التي تدفع نحو الهدف ، او بعيدا عنه ، وتؤدي الى حركات تنقلية .

٢ ــ و (القوة المانعة) هي التي تحول القوة الدافعة عن تنقلها ، فهي بمثابة حاجز يؤثر في التحرك ، واتجاهه ، ويكون ذلك حسب العلاقة الموجودة بين الشخص وهدفه .

٣ ــ و (القوة المثارة) هي التي تتولد من حضورية شخص او اشخاص ، وتشبه العدوى ، او الاغواء ، او النفوذ ، اذ هي استثارة مثارة كما يولد التيار الكهربائي في الجهاز الخالي من الكهرباء تيارا مثارا .

٤ ــ و (القوة الذاتية) ، او المطابقة لحاجات الشخص ، هي التي تتعلق بالحاجات العضوية ، كالجوع والعطش ، ولكن كورت ليفين وسع مدلولها ، واطلقها على جميع الميول والنزعات ، ومنها الاخلاقية ، مثل الحاجة الى الامان ، والامن وما اشبه .

٥ ــ و (القوة اللاشخصية) هي ما يقال عنه الامر الواقع ، او القوة الخارجة عن ارادتنا ، فهي لا تطابق رغبة الشخص ، ولا رغبة من يحيطون به ، ولكن لها صفة لاشخصية ، وتعود الى الظروف .

الوضع والامكانية

(الموجه) ، في نظر كورت ليفين ، قوة في المجال النفسي صادرة من الفرد الى شيء ذي قيمة ايجابية ، الاولوية في هذا التعريف للعلاقات الحركية ، الدينامية التي بين الشخص ومجاله ، حيث نرى الى الدور الذي تلعبه (القيمة) في تحديد السلوك الشخصي(١٠) .

ان الشيء الموافق يجتذب ، والمنفر يطرد ، واذا لم يتحقق اي من هاتين الحالتين كان الشخص غير مكترث للشيء ، او كان اللااكتراث . ان (قيمة) الاشياء الموجودة في البيئة الخارجية للشخص مرتبطة بحاجاته ، واشباعها(١١) .

واستنادا الى الاتجاهات المختلفة داخل المجال ، او ما فيه من مناطق جذب ، وطرد يمكننا اذن توضيح بقية (المعاني الاساسية) ، وخاصة الوضع والامكانية والزمان .

هناك في المجال الحيوي مجالات فرعية متشابكة ، تنبثق عنها مواقف فرعية متشابكة ، مثل احوال النشاط الابداعي ، او السلوك المنحرف ، في علاقتهما بظروف الشخص ، وبيئته ، وبالنسبة لوضع الشخص اهو في منطقة امان او خطر ، يمكن تصوير ما هو نفسي تصويرا مكانيا ، وقد رأينا كيف ان (الانتماء) ، كوضع شخصي ، هو بمثابة مناطق امان وطمأنينة ، واحيانا قلق وخطر .

والامكانية هي القدرة الكامنة ، و (معنى الامكانية) هام بالنسبة للوضع الذي يكون فيه الشخص ، اذ انه يشير الى اهمية بعض المناطق في المجال الحيوي ، دون اخرى ، وبالتالي ترجيحها بعضها على بعض ، بفعل ما يصدر عنها من جاذبية ، او تهديد .

ولمعنى الامكانية قيمة خاصة في (المواقف المتداخلة) ، والتي تجعل نشاط الشخص موزعا ، كما تجعل اهتماماته العملية ، او ايضا اتجاهاته الفكرية مشتتة ، هذه المواقف المتداخلة تعود الى اوضاع الشخص ، كما في اهماله تنظيم انتمائه ، او نشاطه عامة ، ولكن الامكانية تفسح المجال للاختيار ، وتعقل الامور .

وهناك ايضا معنى الزمان ، والذي يتحدث عنه (كورت ليفين) من حيث هو حركة في المكان ، ويمثله بالتالي تمثيلا مكانيا . وحقا ان المجال الحيوي مجال مكاني ، وقد يكون ممتدا او محصورا ، وقد يتسع او يضيق ، ولكن هناك المجال الزماني ، او مجال الديمومة الذي يتسع مع نمو الشخص ، بحيث يصبح بامكانه ان يرتد الى الخلف بذاكرته ، او ان يستبق الاحوال في المستقبل .

وفي دراسة الطفل يظهر تشابك هذه المعاني ، اذ ان توسيع المجال الحيوي ، مكانيا وزمانيا سيعقد السلوك ، وينوع تراكيبه ، بحيث تتاح الفرص لدراسة ذكاء الطفل ، وارتباطه باتساع المجال الذهني والعملي عنده . ويكون اتساعهما في القدرة على ضم مناطق اوسع ، من التفكير والعمل والتطبيق .

وقد لاحظ (كورت ليفين) انه كلما كبر الطفل تكون العابه اطول في مدتها ، واكثر تنظيما ، وكذلك الامر بالنسبة للفنان ، والذي يسير في نوع من اللعب الراقي ، وهو يحقق الهامه في اعمال ضخمة ، وجليلة ، مما يدل على

احلى دراريه

يرافقني اني ذهبت خيالها ... فما حيلتي فيها وما حيلتي فيه
وددت لو اني استطيع سلوها ... وانزع من قلبي هواجس تضنيه
ولكنني ازداد فيها صبابة ... واهرب من نفسي فأفضي الى التيه
انام على شوك واصحو على لظى ... وافقي عبوس داجيات حواشيه
اذا دق بابي قال قلبي لعلها ... وهرول يستجلي ... فخابت امانيه
شقيت ، ولكن لا احتجاج على الهوى ... لأزهى من الصبح المنير دياجيه
سرى الحب في الوادي فنور زهره ... وفي طيره الشادي فطابت اغانيه
فداء لعينيها حنيني ولهفتي ... وما سال من جفني وما بت اخفيه
اذا ضحكت فالقفر يضحك حولها ... وان عبست في الروض تعبس اقاحيه
رثيت لمن لم يعرف الوجد قلبه ... ولم تتضرج بالسهاد لياليه
انا في فضاء الله اصدق عاشق ... وغلواء في عيني احلى دراريه
الى النار شعري ان هجست بغيرها ... وعطرت الا في هواها قوافيه
قصارى رجائي ان اموت صبابة ... ويؤنسني طيف ألفت تثنيه
فان خاب ما ارجو فيا سوء طالعي ... ويا ويح هذا القلب ، كيف اعزيه

بوانس ايرس — الارجنتين ... زكي قنصل

اتساع مدة النشاط مع اتساع مجال التفكير ، والابتكار . وفي الاعداد القادمة نتحدث عن الحاجة ، والتوتر الانفعالي ، والنكوص ، والصراع ، وغيرها ، والى اللقاء .

---

(١) — وهناك ايضا مفاهيم التخطيط ، والبنية ، والتاريخية ، والموقف الراهن وغيرها ، كشفوا بواسطتها عن الجانب الصميمي للظواهر النفسية كافعال ، هي اجزاء في كل وظيفي متكامل .

(٢) — وقد رأينا في دراسة سابقة ، كيف ان (الأنا) جزء وظيفي من الموقف الكلي ، ولم تكن في البدء ، مما يساعد على حصر عوامل تكوين الشخصية .

(٣) — راجع دراساتنا في الاديب الغراء ، مايو ١٩٧٨ ، الشخصية والموقف ، وديسمبر ١٩٧٨ ، الموقف والسلوك ، ونحن في هذه الدراسات نولي اهمية خاصة لأمالي استاذنا المرحوم (يوسف مراد) في الجامعة المصرية ، وشروحه العلمية القيمة المختلفة .

(٤) — والشعور بالانتماء يختلف في الجماعة الديمقراطية عنه في الجماعة الاوتوقراطية ، ولرونالد ليبيت دراسات تجريبية في الموضوع تصف الصلة التي بين الزعيم والافراد في الجماعتين ، وكيف ان الشعور بالانتماء هو اقوى في الجماعة الاولى منه في الجماعة الثانية ، مع رسوم ومقارنات .

(٥) — وذلك امر يمكن ملاحظته على الكبار ايضا ، كما في مواقف المشتركين في ناد ثقافي ، اذ يكون المجال عليهم في باديء الامر غامضا ، فينكمشون على انفسهم ، ثم مع الاطلاع على نشاطات النادي يصيرون تتنوع سلوكاتهم ، وتزداد مرونة .

(٦) — تحدد القيمة (فالانس) اتجاه السلوك ، وهي قوة نفسية تعبر عن التاثير الجاذب ، او الطارد الذي لشيء من الاشياء ، فهي قيمة الشيء عند الشخص ، وتسمى بالموجه الكيفي ، تمييزا لها عن الكمية الموجهة .

(٧) — وكورت ليفين يرمز الى القيمة الايجابية ، باشارة زائد (+) ، والى القيمة السلبية باشارة ناقص (—) ، وموقف الشخص (ش) في الحالة الاولى ، كما في الرغبة في شيء هو (ش + هـ) ، وموقفه في الحالة الثانية حيث عليه ان يتجنب الحواجز هر (ش — هـ) ، انظر المتن فوق .

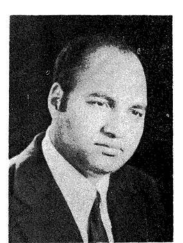
(٨) — والمسافة المادية غير المسافة النفسية ، اذ قد تكونان متعاكستين ، الاولى قريبة والثانية بعيدة ، وقد اجريت تجارب متنوعة في ذلك سنعود اليها فيما بعد .

(٩) — يقولون عادة ان (نقطة الارتكاز) ، او العمل ، او التنفيذ هي المنطقة التي فيها الشخص ، او ايضا هي (الشخص) نفسه ، الا انها يمكن ان تنتقل الى اشياء اخرى كما في احوال القوى المثارة ، او اللاشخصية ، وهي غير (نقطة الانطباق) ، او الاستنفاد ، والتي تعبر عن نهاية اشواط عمل ما .

(١٠) — هذه التحديدات من (اوراق مختارة) لكورت ليفين ، نظرية حركية في الشخصية ، ١٩٣٥ ، انظر ميادين علم النفس ، باشراف جيلفورد ، جـ ٢ ، ص ٩٩٩ وما بعدها ، وأنظر موسوعة علم النفس ، والتحليل النفسي ، لعبد المنعم الحفني ، جـ ٢ ، ص ٤٥٠ .

(١١) — وقد قدم كورت ليفين تحديدا مستقلا للحاجات ، يمكن من اساسه الاستدلال على ما للاشياء من قيمة نفسية ، سنعود اليه عند بحث الحاجة قريبا ، وشكرا .

دمشق ... عدنان بن ذريل



احمد حسين الطماوي

عبد المسيح حداد

(١٨٩٠ — ١٩٦٤)

بقلم احمد حسين الطماوي

* * *

تعتبر جريدة « السائح » كبرى الجرائد العربية التي ساهمت بنصيب كبير في نشر الوية الضاد في العالم الامريكي المهجري واقتحمت هذا الميدان بقلب يملأه الايمان والاطمئنان . وكان صاحب هذه الجريدة هو الصحافي الكاتب : « عبد المسيح حداد » موضوع دراستنا .

نشأته : ولد عبد المسيح حداد في حمص عام ١٨٩٠ من ابوين ارثوذكسيين وكان دوره في التعليم كدور كل صغير . فدرس في المدرسة الابتدائية . ثم واصل الدراسة فدخل مدرسة المعلمين بالناصرة عام ١٩٠٤ . وقد كان والده من الموظفين الصغار بمدينة حمص ، وكان هذا الوالد ملما باللغة التركية والعربية . وكانت امه من اسرة عريضه اسرة الشاعر المهجري الكبير نسيب عريضه .

وقد تعلم اللغة العربية في مدينة حمص على يد « يوسف شاهين » استاذ ادباء المهجر من مدينة حمص . وتعلم ايضا اصول اللغة الانكليزية سنة ١٩٠٥ على يد « خليل الخوري » وحتى هذه السن المبكرة يكون قد الم بأصول وقواعد اللغة العربية واللغة الانكليزية . وفي عام ١٩٠٧ غادر حمص الى امريكا حيث كان اخوته قد سبقوه اليها . وفي هذه البلاد عمل في التجارة . ولكن التجارة لم تصرفه عن الدرس والعلم . فقد كان يتردد على المدارس الليلية الامريكية وسرعان ما استهوته الصحافة والكتابة وشغف قلبه بالتحرير الصحفي فأصدر وهو في سن مبكرة جريدة « السائح » عام ١٩١٢ وهو في الثانية والعشرين من عمره التي استمرت حتى عام ١٩٥٧ . وفي عام ١٩٢٠ كان من مؤسسي « الرابطة القلمية » التي كان زعيمها جبران خليل جبران . وفي عام ١٩٢١ كتب ملاحظاته وانطباعاته عن حركة الهجرة في كتابه « حكايات المهجر » وفي عام ١٩٢٢ تزوج من فتاة لبنانية بالمهجر الامريكي وانجب منها الاطفال فاستقر في حياته واستمر في مواصلة الكفاح ليجني ثمرته النجاح .

هذا بعض الشيء عن نشأته . ومراحل حياته بين سوريا وامريكا او بين حمص ونيويورك التي مات فيها عام ١٩٦٤ .

اعماله : تعتبر جريدة « السائح » هي اكبر اعمال هذا الاديب المهجري والصحافي الخالد فهو اكبر صحافيي المهجر دون مبالغة . فقد اصدرها عام ١٩١٢ ولم يكن يمتلك ثروة طائلة حتى يوطد بها الجريدة ويدعم مركزها ، ولكن القراء رحبوا بها واقبلوا عليها يقلبون صفحاتها ويقرأون ابوابها ، فراجت بينهم ، واخذت مكانتها اللائقة بين الصحف ، لما كان يبذل فيها من مجهود محمود ولما كان ينشر فيها من الانباء الثابتة الصادقة . وقد كانت في البدء تصدر في اثنتي عشرة صفحة من القطع الكبير وفيها صفحتان للادب واخرى لانباء الوطن العربي وللسياسة الدولية .

وقد مرت بالجريدة عدة ازمات كانت تعرقل مسيرها . فقد صدرت في عام ١٩٢٧ يومية وانتظمت فترة من الزمن ولكن هذه الفترة لم تطل فاضطر صاحبها ان يوقف مسيرها بسبب الازمة المالية التي استحكمت في ذلك العام بالولايات المتحدة ، غير ان عبد المسيح جاهد حتى بعثها من جديد في ثوب قشيب رحيب سنة ١٩٣٦ مرتين كل اسبوع وقد بلغ ما يطبع ويوزع منها ما يقرب من ١٣٠٠ نسخة .

وهناك ازمة اخرى — اجل واعظم — حلت بالصحيفة وهي موت كتابها الذين كانوا يمدونها بثمرات عقولهم وبانتاجهم الشعري والنثري مما كان يدفع بعجلتها الى الامام مما ساعد على نموها وازدهارها . فقد مات جبران عام ١٩٣١ وغادر ميخائيل نعيمه المهجر بعد ذلك ثم مات نسيب عريضه وامين الريحاني ورشيد ايوب وندره حداد واحمد زكي ابو شادي . والذي لا شك فيه ان الصحيفة اصبحت اقل مما كانت عليه قبل موت هؤلاء .

وقد كانت الصحيفة تصدر اعدادا ممتازة « كالسائح

المتاز » الذي صدر عام ١٩٢٧ وقد تضمن الكثير عن الرابطة القلمية . ادبها وكتابها . وكان عبد المسيح يكتب بابا اسمه « الحان واشجان » زيادة على الافتتاحية التي يطالع بها القارىء . وقد قال هو عن هذه الصحيفة « انها كانت في بدء ظهورها تنفس انسان ، يريد ان يعبر عن مكنونات صدره وعن مشاعره ، وعن حنينه الى الوطن » .

ومن المشاكل الكبيرة التي شغلت الصحيفة وشغلت صاحبها هي مشكلة فلسطين . فقد اثرت الصحيفة بكثرة المقالات في توعية الشعب الامريكي بحقيقة الموقف في فلسطين وفي هذا يقول عبد المسيح :

« فقد استطعت ان ادخل في روع كثير من السكان في الولايات المتحدة ان الصهيونية تسمم افكارهم وان حقيقة القضية العربية لها اصول رسمية وانسانية تؤكد عدالتها » .

وظلت الجريدة تقاوم حتى آخر عام ١٩٥٧ فباع عبد المسيح حداد حقوق جريدته الى « راجي الظاهر » صاحب جريدة « البيان » . اما عن اعمال عبد المسيح حداد الاخرى فهي قليلة وضئيلة اذا قيست بجريدة السائح واهم هذه الاعمال :

١ — حكايات المهجر : صدر هذا الكتاب في ١٩٢١ وهو عبارة عن « تصوير الحياة السورية باسلوب القصص الصغيرة » وبدأ بكتابة قصة « عبد الفطرة » ثم اخذ يكتب الثانية والثالثة وقد شجعه على هذا العمل عميد الرابطة جبران فقال له :

« اريد ان أقرأ لك من هذا النوع في كل عدد من اعداد جريدتك . ولا عذر لك عن عدم القيام بذلك العمل . فأمامك ميدان واسع ولجته فتعمق في حناياه وغص الى قاعه وجئنا بما تغوص عليه » .

وهذه الحكايات التي نشرها في جريدة السائح وجمع البعض منها في هذا الكتاب تعتبر صورة حقيقية واقعية لما كانت تجري عليه حياة هؤلاء الناس في بلاد المهجر . فقد صور فيها اخلاقهم ومكانتهم واتجاهاتهم . ويعتبر هذا الكتاب اول الكتب التي حاولت ان تتعمق حياة هؤلاء الذين هاجروا الى شرق امريكا الشمالية . وقد قال عندما زار سورية في عام ١٩٦٠ :

« وعندي منها — اي من هذه الحكايات المهجرية — بعد ذاك الكتاب ما يمكن جمعه بكتاب آخر او اكثر من كتاب واحد . وسوف انصرف لهذا الجمع بعد عودتي الى مكتبي في نيويورك » . وله في كتاب مجموعة الرابطة القلمية الصادر عام ١٩٢١ قصتان هما « الله يسعده ويبعده » ، « ست الميت » .

٢ — شعره : وله عدة قصائد شعرية لم تنشر ولكن احمد زكي ابو شادي ذكر عدة قصائد في احد كتبه ، وقد بينت هذه القصائد مذهب عبد المسيح الفلسفي فمن شعره :

ان جسمي للباس ولباسي لبسني
جئت من آدم لكن آدم يخلفني

وقال ايضا :

اني على بساطي أمامي الاسفار
كالملك في البلاط تحسده الابصار

ويمتاز شعره برقة الالفاظ وسهولة العبارة غير ان هذه الاشعار قليلة ولم تجمع . ولعبد المسيح عدة آراء في الادب العربي المعاصر فهو لا يحب شعر « شوقي » لانه شعر المناسبات ولان « هذه المناسبات تقتل ملكة الابداع لديه » ولذلك فهو يفضل خليل مطران على شوقي لانه لم يهتم كثيرا بشعر المناسبات . اما عن رأيه في جبران وميخائيل نعيمه فهو يعتقد ان لكل منهما مقامه المرموق في ادبه الخاص . فلكل منهما عالمه . وفي الحديث الذي عقده معه الاستاذ الاشتر يقول : « انا معجب بالمازني لاني احب الفكاهة والنقد ، وربما كان ذلك اصيلا في لاني كنت اعتد في السائح بابا باسم « الحان واشجان » أضمنه نقدا فكها » .

وقد كان عبد المسيح يتطلع الى انشاء حكومة نيابية لسورية . فلما تكونت لجنة تحرير سورية ولبنان برئاسة الدكتور « ايوب ثابت » قبل عبد المسيح ان يكون عضوا فيها . وكان برنامج هذه اللجنة انشاء حكومة نيابية تحت رعاية فرنسا وانفصال سورية عن الحجاز . وقد كان صاحبنا من المؤيدين للحماية الفرنسية على سورية ولكنه عاد فحمل على الداعين الى تقسيم سورية الى اقاليم متفرقة فكتب في ١٩١٧ يقول :

« تبا لكل مفرق . وقبح الله من يسعى لغاية له خصوصية غير مكترث بغاية الامة عامة . نحن اليوم ننتظر نعمة سماوية وموعدنا بها المستقبل القريب ... ولكن ارباب الفتن في هذا المهجر اصحاب الغايات الصغيرة الذين يقودون هذا الشعب كما تشاء اطماعهم . هؤلاء يفرقون بين المجموع ليسودوا ... » .

وفي عام ١٩٦٠ زار عبد المسيح حداد سورية مسقط راسه بعد غيبة كبيرة « ٥٣ » سنة في المهجر الامريكي . وطبيعي ان هذه السنين الكثيرة قد غيرت من معالم سورية عندما غادرها في شبابه . وعندما عاد رأى غير ما راى فراح يسجل هذه الانطباعات التي انطبعت في نفسه ووقعت على حسه . فأصدر كتاب « انطباعات مغترب » وقد زار في هذه الفترة لبنان ومصر وسورية . وقد هللت المجلات والجرائد لمجيئه وراح الادباء يستجوبونه عن المهجر وحكايات المهجر وادبائه وشعراء الرابطة القلمية .



رحلت فيك .. في ابتسامة منيرة خضراء
تضيء وجهك السماء
أنا الذي أجيء في الصباح والمساء
كي أنقش الدفاتر .. النجوم .. بالقصائد
وأنفخ الرجال السمر في مسارب الضياء
وأبعث العرائس ــ القلائد
فكيف تبعدينني عن بابك .. وتغلقين دوني النوافذ ؟

انفخ فيك .. في الرمال والصحراء
روحي التي تهيم بالبحيرة التي تكتظ بالامواج ...
والاشواق للحدائق الغناء
فمذ رحلت وقلب ناقتي معلق بالواحة الفيحاء
وانت يا صديقتي البلهاء
أراك تضحكين للمروج .. والسنابل ــ الخواء !

متى يجيء الخير ؟ متى يفيض النهر
وأنت يا أماه تبذرين
وهذه السماء بخيلة ... شحيحة بالقطر .
الصوت يقطع الفضاء والصحراء : يا سماء
القيظ يملأ الارجاء ونحن لا نريد غير قطرة من ماء .

الزقازيق ــ مصر　　　حسين علي محمد

وقد اجاب على كل ما وجه اليه من الاسئلة وقد سجلت هذه الاسئلة والاجوبة في هذا الكتاب . كما ان الكتاب يعتبر مرجعا هاما لدراسة الشعر العربي والشعراء العرب في المهجر لانه روى ذكريات واحداثا غير معروفة لدى كل الذين تناولوا ادب المهجر بالدراسة . فهذا الكتاب مادة جديدة لدراسة هذا الادب .

ولقد انتهج له منهجا لا ينفصل عما كان يحس به شعراء وادباء المهجر وقد لخص نظراته الى الحياة بقوله :

« لقد ادركت من كل ما درسته في حياتي ان كل واحد منا نقطة من نهر الحياة ما دمنا احياء . لنكون نقطة من بحر الوجود بعد ان يصبنا النهر في بحر الوجود الذي تتبخر منه حياة الافراد مرة بعد اخرى . وانا اعتقد بالحياة ودوامها ذلك ما استقر في دماغي ونفسي . وعليه ثبت معتقدي » .

هــذه بعض الخطوط العامة الهامــة في شخصية عبد المسيح حداد وقد رأيت ان اختمها بما قاله عنه احمد زكي ابو شادي فقد عاش معه في المهجر الامريكي بعد هجرته من مصر : « واذا كان عبد المسيح حداد مقلا في نظمه فنثره غير قليل وهو في الحالين اديب خلاق واسع الافق يتجلى في نثره ونظمه معــا روح التقدم الانساني المتواصل . انه بحق الرمز الباقي الحي للرابطة القلمية . ودراسة آثارها التي تستوعب الكثير منها مجلدات السائح تمتعنا بالتفاعل الناضج مع خير ما وهبه الفكر الامريكي والمجتمع الامريكي لــلادب العربي ولابنــاء العروبة في المهجر » .

القاهرة　　　احمد حسين الطماوي

الشعر الخالد

الاهداء : الى روح نعوم مكرزل (١٨٦٣ — ١٩٣٢)

بقلم الدكتور جورج ديمتري سليم

* * *



عنوان هذا المقال ولا الاهداء من عندياتي ، بل هو عنوان واهداء التمس « جميل بطرس حلوة » (١٨٨٣ — ١٩٤٦) بنفسه ان يتصدرا خمسين قصيدة عربها هو شعرا عن اللغة الانكليزية — اذا كتب لها النشر مجموعة .

« الهدى » (النيويوركية) كانت ، ولا تزال ، معرضا لادب المهاجرين ، وسجلا في تاريخهم ينقل الى السلف مشاهد من جهادهم واخلاقهم ونزعاتهم وآدابهم . وكمرآة تعكس ما اكتسبوه من المعرفة والاختبار والتأثيرات في محيطهم الامريكي العظيم .

ولذلك فقد رايت من الواجب اتحاف العالم العربي على صفحات هذه الجريدة بمقاطع شعرية جادت بها قرائح شعراء الغرب اللامعين ، وحبذا لو عكف ادباؤنا على ترجمة مؤلفات الغرب في السياسة والاجتماع والاقتصاد والادب من شعر ونثر . . .

انني سأنشر في « الهدى » — كما تسمح اوقاتي — سلسلة طويلة من مقاطع شعرية سأنقلها عن الانكليزية الى العربية ، مازجا روحي بأرواح مبتدعيها الموهوبين والموهوبات ، ساكبا اياها في قوالب عربية اتمنى ان تجيء عند رضى القراء واستحسانهم ، وان تبقى لي اثرا في الادب — بعد انسدال الستار الاخير — شاهدا على كوني اجهدت النفس لاستثمار موهبة الشعر التي لازمت طبيعتي ، وخدمتها لمجرد هيامي بها — لا طمعا بشهرة او بمال . واذا صدف الامر وطبعت هذه المجموعة الشعرية فرجائي ان تهدى لروح صديقي نعوم مكرزل ، الذي كان ابدا يستثيرني لمتابعة النظم .

والتمس ان تنشر هذه المعربات تحت عنوان « الشعر الخالد » .

هذا ما كتبه حلوة الى صديقه سلوم مكرزل (١٨٧٩ — ١٩٥٢) في رسالة مؤرخة ١٩٣٣/١١/١٧ . فبناء على هذه الوصية ، ونزولا على ارادة صاحبها واحتراما له ، كان العنوان والاهداء اعلاه — وهو اقل ، بل اسهل ، واجباتي نحو هذا الاديب المهجري المجهول .

سأقدم اذن للقارىء خمسين معربة (مجموعها ٤٥٦ بيتا) ، نشرت مسلسلة بين ١٩٣٣/٩/٩ و ١٩٣٤/٥/١٠ ، ملحقا بها اربع معربات اخرى (مجموعها ٦٠ بيتا) عثرت عليها اثناء جمعي لاشعار حلوة ، تاريخ نشرها هو ١٩٠٧ (٥١) ، ١٩١١ (٥٢) ، ١٩٢٤ (٥٣) ، ١٩٤٥ (٥٤) . وهذه المعربات الاربع — واسباب اخرى لا مقام لذكرها هنا — تدفعني الى الاعتقاد ان المعربات الخمسين لم تنظم جميعها في بحر ثمانية اشهر ، بل في بحر ٢٧ سنة او اكثر ، وفي اوقات متفرقة كانت بين عام ١٩٠٧ — او قبله — وعام ١٩٣٤ . اما ترتيب نشر المعربات فاني استبعد ان يكون هو نفسه ترتيب نظمها .

على ان صعوبة — وربما استحالة — تأريخ وترتيب كل معربات حلوة ترتيبا زمنيا حسب نظمها لا تمنعنا من محاولة ربط عدد من هذه المعربات ببعض الاشخاص المعروفين في حياة شاعرنا ، والذين نظنهم لعبوا دورا في تهيئة المناخ المناسب له لاختيارات خاصة من الشعر الامريكي والبريطاني .

فـ « ماري » اخته ، ربما هيأت له تعريب (١٩) « طولي ، يا فراشة » التي « قرأ فيها تاريخ الصبا . . . ايام كان مطاردا وشقيقته سرب الفراش » ، ولكن ما لا شك فيه ان وفاة هذه الاخت ، عام ١٩٠٧ ، هيأت له في العام نفسه تعريب (٥١) « لكائنة في الفردوس » .

و « ادما » زوجته ، لعلها مهدت له تعريب (٢١) « عبادة الحب » فبث فيها مشاعره نحوها قبل زواجه بها ، ولعلها مهدت له ايضا تعريب (٤٣) « الحبيبة ايفا » ، بعد ان اصبحت له زوجة عام ١٩٠٥ ، ولكن ما لا شك فيه ان جميلا وجد في (٣٥) « لدى سرير الموت » وصفا طابق حال ادما وحاله وحال الاولاد ، في تلك الليلة السوداء من عام ١٩١٤ التي فاضت روح ادما فيها ، فقام بتعريبها .

اما « ماري » زوجته الثانية ، فلا بد انها أوحت اليه بتعريب ثلاثيته : (٢٣) « هل اسمك مريم ؟ » ، و (٢٤) « راعوث » ، و (٢٥) « وداع الحبيبة ماري » . اذ بامكاننا ان نتصور جميلا في (٢٣) وهو يتقرب الى ماري قبل زواجه بها عام ١٩١٨ ، وكذلك في (٢٤) ، اذا اعتبرنا البيت الاخير في الاصل الانكليزي لهذه القصيدة — وهو بيت اهمله حلوة ، وترجمته الحرفية : « تعالي شاركيني حصادي وبيتي » . اما (٢٥) فبعض كلماتها تشير الى ان تعريبها كان بعد زواج جميل بماري .

معربات حلوة اذن ، ان دلتنا على اشياء ، فهي تدل — اولا وقبل اي شيء آخر — على بعض ما شغل فكر حلوة وهمه في حياته الخاصة والعامة ، ثم على شغفه بالشعر ، وعلى سعة اطلاعه على الادبين الامريكي والبريطاني ، وعلى تضلعه من العربية والانكليزية ، وعلى مقدرته الشعرية ، وعلى ذوقه الرفيع .

والذي يقارن معربات حلوة بأصولها الانكليزية سيلاحظ ان حلوة نجح في تعريبه — احيانا اكثر من احيان اخرى — اذا اعتبرنا قيود الوزن والقافية التي تقيد هو

نفسه بها . لقد كان حلوة امينا في تعريبه للقصائد التي اختارها ، امينا لأنه احيانا التزم بحرفية النص الانكليزي على قدر ما ساعده النص ، وعلى قدر ما سمحت له به العربية وقيوده الشعرية ، وامينا ايضا لأنه احيانا اخرى خشي الا يعطي القصيدة الاصلية حقها ، فاكتفى باقتباس معناها العام وروحها ، وعلى هذا المعنى وهذه الروح نظم . قال وهو يقدم (١) « النفس والبحر » : « قرأت ليلة امس قصيدة خالدة للشاعر الانكليزي المشهور « الفرد تنيسون » هيجت عوامل نفسي ، ولم أشأ تعريبها خوفا من ضياع درر معانيها ، ولكن بوحي منها فاضت روحي في المجاري نفسها » .

ولا اعرف مجموعة معينة من الشعر الامريكي او البريطاني اختار منها حلوة للتعريب ، وانما كان اختياره — كما ظهر لي بعد تخريج النصوص الانكليزية لهذه المعربات — من كتب المختارات ، ومن المجلات ودواوين الشعراء .

ولمن قد يهمه دراسة المعربات دراسة مقارنة الحقت بالمعربات تخريجا موجزا بأصولها الانكليزية . وبرغم تخصصي القديم في الادب الانكليزي الذي سهل علي هذا التخريج ، فقد تركت للمتبحرين في الادبين الامريكي والبريطاني سبع قصائد صعب علي تخريجها . ستا منا لشعراء مجهولين — حسب ما ذكر حلوة — وهي القصائد ١٦ ، ٢٧ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٤ ، والقصيدة ٣٦ للامريكي وليم ونتر .

بخصوص هذه المعربات راجعت ايضا « ببليوغرافية ترجمات عربية من الشعر الانكليزي والامريكي (١٨٢١ — ١٩٧٠) » التي اعدها محمد عبد الحي ، ونشرتها « مجلة الادب العربي » (لايدن) في المجلد ٧ (١٩٧٦) . وجدت ان سبعا من القصائد التي عربها حلوة عربها آخرون ايضا . فالقصائد ٢ و ١٤ و ١٩ عربت كل منها مرة ، والقصيدتان ٢١ و ٥٣ عربت كل منهما مرتين ، والقصيدتان ٥ و ٣٥ عربت كل منهما اربع مرات . فيكون حلوة بمعرباته قد اضاف الى الادب العربي جديدا من الادبين الامريكي والبريطاني . هذا ، ويدل الاحصاء على ان حلوة عرب لـ ٨ شعراء امريكيين ، بينهم شاعرة ، ولـ ٢٢ شاعرا بريطانيا ، بينهم شاعرة ، ولـ ٨ شعراء — او اقل — مجهولين ، امريكيين وبريطانيين .

فيما يتعلق بنصوص المعربات ، اود ان اذكر اولا ، ان المعربة ٥٢ وردت اصلا بدون عنوان ، وثانيا ، ان المعربات ٤ ، ٦ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ٤٥ ، ٥٠ وردت ابياتها اصلا ناقصة القوافي . سبب هذا النقص تلف اصاب اطراف الصفحات التي بها هذه المعربات . ولكن اعتمادا على قافية الشطر الاول من مطلع المعربة ، او على المقاطع الاولى الباقية من الكلمات القوافي نفسها ، او على سياق الكلام ، او على الاصل الانكليزي ، حاولت ترميم قوافي هذه المعربات ، الا قوافي المعربتين ١٢ و ٥٠ — فقد استعصى علي ترميمها ، لذا جاءت هاتان المعربتان هنا بدون قواف كما وجدتهما . ●

أمر اخير احب ان اشير اليه يتعلق بحلوة نفسه . هذا الامر هو ان حلوة كان واحدا من الادباء المهجريين المعدودين الذين درسوا الادب الانكليزي (الامريكي والبريطاني) دراسة مدرسية منظمة ايام الحداثة . ولعله الاديب المهجري الوحيد الذي حافظ على صلته بهذا الادب حتى آخر ايامه . فلا غرو اذا غدا هذا الادب احد الروافد الرئيسية التي غذت روحه وادبه بالكثير الجميل الذي نجده في شعره ونحسه في شخصيته . وقد دل حلوة على هذا ، فقال :

« اكتب هذه السطور وافكاري تحوم حول زمن حداثتي ، لما كنت انصب بكليتي على اعمال المتنبي ، وابو العلاء ، وزهير ، واليازجي ، والاديب ، والحداد ، وشكسبير ، وهوغو ، وكولوريدج ، وبوب ، وبو . ووردزورث ، ولونكفللو(*) ، وكثيرين غيرهم . واشعر بواجب فضل وجميل عظيمين لهم علي . فقد صقلوا طبيعتي ، ورققوا شعوري ، ورفعوا آرائي ، وهيأوني لمصادمة الحياة بجد وثبات . فيا لهم من اصدقاء مخلصين ، واساتذة بارعين ، يغذون القلوب من دماء قلوبهم ، وينيرون الافهام من ضياء عقولهم ، وتأكد ان الحب والاعتبار اللذين ابتدآ بمعرفتهم سينتهيان معي فقط بانتهاء الحياة » .

١ — النفس والبحر

عـزة البحـر ترامـت
عنـد أقـدام الصخـور
لـم ينـل منهـا مرامـا
منـذ تأسيس الدهـور
موجـه بعـد جهـاد
عـاد بالقلـب الكسيـر
مسمعـا انـات يـأس
هـي انـات الصـدور
يـا لساني ، آه ، لـو تفصح
عمـا في شعـوري
عظـم الحـزن ، وعـادت
ذكرياتـي للظهـور
وبكـت آمـال نفسـي
لانخذالـي وقصـوري
آه ، كـم لـي مـن امان
طويـت دون نشـور
آه ، كـم لـي مـن حبيب
قـد ثـوى طـي القبـور
فهنيئـا لجهـول

● (الاديب) : حاولنا ترميم قوافي المعربتين المذكورتين .

مـا درى كنـه الامـور
والتهـى فيمـا يـراه
بصفـاء وحبـور
فهـو كالمركب يجـري
جاهـلا امـر المصير
قـدك ، يـا قلـب ، خفوقا
لست بالشيء الخطير
ان تكـن نفسي بحـرا
فلهـا حـظ البحـور

٢ ــ سهمي ولحني

ارسلت سهمـا في الفضـاء
بخفـة تعيـي البصـر
فغـاب عنـي حيـث شـاء
لمـا الـى الارض انحـدر
وانشـدت روحـي غنـاء
طـار كسهمـي ثـم خـر
فغـاب عـن عـين الرجـاء
وضـاع مـا بـين البشـر
وبعـد أن دار القضـاء
اطلقـت سعيـي في الاثـر
فبـان سهمـي بمضـاء
في السنديـان ، مـا انكسـر
ولحـن روحـي بجـلاء
في مهجـة الخـل استقـر

٣ ــ نجمتـي

كـل مـا اعرفه عـن نجمة
انهـا كالماس تزهـو بالشعاع
فاحمرار النـار منهـا ساطع
وازرقاق البحـر منهـا باندفاع
ذاتها كون صغير ، قـد حوى
كل حسن من ذرى الافلاك شاع
ان روح الطـير فيهـا خافق
وهي كالزهرة منها الطيب ضاع
قـد انـارت سبلـي هاديـة
ما على نفسي خوف من ضياع
هـام بـ « المريخ » غيري كلفـا
وانا حبي لهـا في الارض ذاع
فاتركوا الافـلاك في امجادهـا
وانظروا في نجمتي حسن الطباع

٤ ــ العنكبة الصامتة الصابرة

عاينتهـا صامتـة صابـره
وحيـدة تحـرك البـادره
عنكبـة تبـدو علـى شاهـق
تنظـر فيمـا حولهـا حائـره
تريـد ان تسبر غـور الفضا
وتفقـه الغرائـب الظاهـره
فأرسلت خيطـا عليـه امتطت
ولـم تـزل في خيطها سائره
وانت ، يا نفسي ، في مشهد
لا اول لـه ، ولا آخـره
يروعـك الجـو برحباتـه
وتستبيـك الابحـر الهـادره
وتمتطين الفكـر نحـو السهى
بأعـين ساهيـة ساهـره
قومي ابتني جسرا لقطع المدى
والعود من دنياك ، يـا زائره
وامشي عليه نحو شمس العلى
واستطلعي اجرامهـا الدائـره

٥ ــ موسيقى الاصوات العذبة بعد فواتها

عذوبـة اصـوات الأحبـة تنقضـي
والحانها في النفس تصـدي وتطرب
الست تـرى زهر البنفسج ان ذوى
يـدوم شذاه في الانـوف ويعـذب
واوراق ورد الروض امـا تناثـرت
لهـا في فراش الحب عطـر مطيب
وفكرك يحيـا بعدما العمـر ينطوي
وحبـك يبقـى الدهر وهـو مطوب

٦ ــ يـا وطني

أيـا وطنـي ، مـا دمت فيـك منازل
تعـود وتحميهـا الرجـال البواسـل
تعـود اليهـا كلمـا يومهـا انطـوى
وفيـه انقضـت حاجاتهـا والشواغـل
ومـا دامـت الولـدان في عرصاتهـا
تنشئهـا الغيـد الحسـان الفـوازل
فقل لعوادي الدهر : ما شئت هاجمي !
فكـل بـلاء عنـك لا شـك زائـل
ويـا وطني ، مـا دمت ، والزاد حاصل
لـدورك ، والنـيران فيهـا شواعـل
ومـا دامـت الانـوار ليـلا تضيئهـا
ومـا دام فيهـا الديـن والحـق ماثـل
فـلا خطـر يخشـى عليـك كأمـة
ولـو نـاب مكـروه وحلـت نـوازل
مغانيـك ، عـين الله تحـرس اهلهـا
وانـك بسـم الله للمجـد نائـل

٧ ــ العش والمهجة

علقت طائـــرة بغصنـــة
فتغاوى الزهــر فيهــا طربــا
وعليهـــا رفرفـت وزقزقـت
بهجـــة ، وا عجبا ، وا عجبا
وابتنت عشا بديعـــا ، أودعت
كنزها فيه ، كمـــا الحب حبا
هكـــذا الغصنة صارت مسرحا
للأناشيـد ، وصارت ملعبـا
اقـدم السعد ، فيــا طائرتي
مرحبا ، أهلا وسهلا ، مرحبا
عطفت سلطانة الحسن علـى
مهجـة كانت تعانـي الوصبا
فاستحال اليأس فيهـــا أمـلا
وغـدا السعد لهــا مصطحبا
زارها الحب صفــاء ، وابتنى
فوقهـا عرشا يمس الشهبـا
هكـذا للحب صارت مهبطـا
ولعرش الحسن صارت منصبا
فهنيئا ، فاخري ، يــا مهجتي
كـل قلب ذاب شوقـا وصبا

٨ ــ استفيقي ، يا شقيقتي

مـــن فــراش الــورود والازهـار
نهـض الفجــر يحتفــي بالنهـار
مثـل حسنــاء في الرياض تهــادت
يـــا لحســن يشـع بالانــوار
فانهضي ، يــا شقيقتي ، ان عـــين
الشمس ترنـو سريرنـا بـازورار
لكرانـا تحمـر غيظـا ، وترمينـا
بنـار ــ مـــن نافـذات الــدار
فاستفيقي ، واسرعي ، واصحبيني
قــد دعانا صوت الربـى والبراري
قـــد دعانا الربيع ، هيــا نحيي
حسن هـذا الوجـود في الاسحـار

٩ ــ زهرة في الجدار المشقوق

يـــا زهـــرة قلعتهـــا
مــن شـق ذيـاك الجـدار
وفي يـــــدي قلبتهــــا
معمقــــا في الافتكـــار
لـــو كنـت أدري كيـف ذا
ك الحسن في الزهــرة صـار
لكنـت أدري مـــن هـــو الـ
ـلـــه العظيـــم الاقتـــدار

١٠ ــ الحـق

يشدد نفسي أن تــرى الحق خالدا
ولـو كان جسمي في الطبيعة بائدا
فيـا خطواتي ، ان تزلي وتشردي
فمـا انفـك قلبـي للحقيقة ناشدا
ويا نفس ، اما استعبدتك يد الهوى
الا اذكـري فالحق مـا زال سائدا

١١ ــ عبور البحر

هــوذا الشمس آذنـت بالغيـاب
وبـدا في الدجـى شعاع الشهـاب
ودعانـي اليـــه صـوت صريـح
لا تنوحوا ، ان رحت فوق العباب
يـــا لمـد جـرى كحلـم وجـزر
أمــر المــوج خلسـة بانسحاب
هكـذا البحـر مرجـع مـا تعدى
عـــن حمـاه بروحـه الجـواب
خيـم الليـل ، والنواقيس دقـت
مصديـات بـين الربـي والهضـاب
وسأعلـو الخضـم عنكـم نزوحـا
فوداعـا ، لا تحزنوا ، يـا صحابي
فـوق هـذا التيار اجـري بعيـدا
عـن حـدود الوجـود دون ايـاب
ورجائـي أنـي أرى وجـه ربـي
يتجلـى وراء ذاك الحجـاب

١٢ ــ الحيـاة

تصاحبت ، يـا نفسي ، واياك مدة
وسيـان طقـس سيـىء وجميـل
اذا مـا رحلنـا فالأحبـة للأسى
لهـم زفـرات بعدنـا وعويـل
لذلـك قومي نتـرك الـدار خلسة
ليؤلمنـا هــذا النـوى ويطـول
ولا تهتفي : ليـلا سعيدا ، وانمـا
اذا مـا التقينـا في النعيـم نقـول
وقولي : صباح النور ، عدنا الى الحمى ،
وليس لنـا مـن بعـد ذاك رحيـل

١٣ ــ الــوداع

أسرعي للبحـر ، يـا ساقيه
فهـو ملـك يعشق الجاريـه

ولديــــه تدمـــي موجـــة
حملتهـــا نفسـك الصافيـه
ووداعـــا ، اننـــي راحـل
نحـو بحـر ذاتـه خابيـه
فاذكري حبي ، فلـن تسمعي
وقـع اقدامي بـذي الناحيه

وتجاري فـوق سهـل ، وفي
غابـة اشجارهـا عاليـــه
واجمعي مـا شئت من جدول
ضـل ، او مـن نبعة باكيه
ثـم صيري النهـر مستعظما
هـادرا ينسـاب في الهاويـه
واذكري حبي ، فلـن تسمعي
وقـع اقدامي بـذي الناحيه

شجـرات البـان مهتـزة
سـوف تبقـى ههنـا نادیـه
وطيـور الأنس مـا فوقهـا
سوف تبقـى في الهوى شاديه
وتريـن الشمس في حينهـا
ونجـوم الليلـة الداجيـه
فاذكري حبي ، فلـن تسمعي
وقـع اقدامي بـذي الناحيه

١٤ — نصيبي وحبيبي

اذا ساء حظي ، واختجلت من الورى
خلـوت بنفسـي اشتكـي وانـوح
وازعج بالشكوى السماوات صارخـا
ولكـن ضجيجي في الهـواء يـروح
واكـره نفسي لاعنـا سـوء طالعي
وقـد هـاج قلبي سؤدد وطمـوح
واغبـط من قـد حقق الدهر حلمه
وقـد وفـرت صحب لـه وصروح
ومـن بـات مشهورا بروعة فنـه
وآخـر عطـر الحمـد منـه يفوح
ولـم يقتنع روحي بعقلي وقسمتي
وهـل للفتـى مثـل القناعة روح
ولمـا اعتراني اليأس والقلب ذلـة
تسكع في الديجور ، وهـو جريـح
تجليت في فكـري ، فأيقظني الهوى
واحبـب بمـرآك البهـي يلـوح
فطـل على الفجر ، والنفس حلقت
كقبـوة فـوق الغيـوم تسيـح
ميممـة بـاب السمـاء تيمنـا
تـردد ترنيماتهـا وتصيـح :
هو الحب يغني النفس عن كل منية
ويسعـد مـن قـد نالـه ويريـح
وانعشـت آمالـي بذكـر حبيبتـي
ونهـج نعيمي بـان وهـو صريح
رويـدا ملـوك الارض انـي لقانـع
وحالـي علـى حالاتكـم لرجيـح

١٥ — الاغاني أو رسل العواطف

زمـن اللهـو القصيـر الاطيـب
راح عنـا ، يـا اغاني ، فاذهبي
يـا بنـات الحزن ، حيـاك الاسى
والامانـي ، يـا بنـات الطـرب
قـد مضى ما منك بالامس انقضى
وغـدا منـك ضـروب العجـب
فاذهبي ، انـا اذا الليـل دجـا
وسلكنـا في عسيـر المذهـب
يستجيـر الهـم بـالانس الـذي
كـان في المـاضي لقطـع الغيهب
يـا لأيـام حلـت فيمـا مضـى
قـد شربناهـا بمـر الكـرب
ان تناءينـا ، فـلا ، لا ترجعـي
والتقينـا في الاعالـي فاصحبـي
واذا سوئلت : لـم قـدر أن
تفرحـي في الارض او تكتئبـي
فأجيبـي : كـان يومـي محزنـي
وغـدي قـد كـان دومـا مطربي

١٦ — يا زمان الحب

مثـل عنقـود زهـور
مـن غصـين يتدلـى
في الربيـع الحلـو بالشكـل
وباللـون تحلـى
هكـذا الحـب وقلبـي
طائـر طـار وعلـى
واليـه عـاد مجذوبـا ،
وعنـد الزهـر حـلا
ناشـدا فيـه الاغانـي
بهــواه مستقـلا
انمـا لمـا عـدا فصـل
شبـابـي وتـولـى
وتعـرى ذلـك العنقـود
في البـرد وشـلا

طـار قلبـي نائحـا في
تيهــه لا يتسلـى
يـا فـؤادي ، هـل تـرى
منـك ربيـع الحـب مـلا
آه ، هـل تذكـر ليـلا
صـار في الخاطـر ظـلا
حينمـا بالسعـد وافـت
والكـرى عنـا تخلـى
وردة الحسـن ارتنـي
في جمـال الصـدر فـلا
وفـؤادي في الهـوى
بـات على الـوردة ظلا
وضممت الحسـن حتـى
فلـق الصبـح تجلـى

١٧ ـــ دعني في غمي

ترحل ، وقل عني الذي أنت قائل
فما انا مجنون ، ولا انا جاهل
فشلت بطرد الغم عني ، فسحره
تملك نفسي ، وهو للنفس شامل
ألفت دياجيه ، ولست براغب
سواه ، وما لي غير همي شاغل
فدعني وشأني ، ان فيه سعادتي
ومن زفراتي ضوء فكري شاعل
فلا تنتهب كنزي من اليأس والاسى
فقد عجزت عن مشتراه العواهل

١٨ ـــ فصل الخطاب

لم تستفد من طويل الشرح والجدل
فاقصد سريرك واصمت فيه واعتزل
حصن الجهالة معتز بحارسه
كم قد هجمت ، ومنه عدت بالفشل
طال احتجابك والافهام مغلقة
فالنور ليس يراه ارمد المقل
تعبت فاهدأ ، ودع من ليس يفرق ما
بين النسور وبين البط والحجل
كم حقروك ، وكم جاروا عليك ، وكم
زادوك سفسطة من أجمل الجمل
فاذكر ـــ هديت ، ففي التذكار تعزية ـــ
ما كابدت أنبياء الاعصر الاول
كم اطلقوا طلقات الوحي فاندفعت
ثم انثنوا ، وقضوا خالين من أمل
تلك الفصاحة لا تجديك منفعة
فان قحمت اقتحم بالصمت والعمل
حتى اذا دك حصن الجهل وانتصر
الحق المبين على الكفران والخلل
بت الشهيد لدى الانقاض جثته
وخلدوك بذكر المصلح البطل

١٩ ـــ طولي ، يا فراشة

ظلي بقربي ، يا فراشة ، طولي
حتى تقر بحسنك الابصار
اني لأقرأ فيك تاريخ الصبا
فلنا على صفحاته اخبار
لا تهربي عن ناظري ، ورفرفي
فلقاؤنا يحيا به التذكار
رجعت الي بروعها صور الصبا
اهلي الكرام وما حوته الدار
واها لأيام الصبا ، فرياضه
تزهو بها الازهار والاطيار
ايام كنت مطاردا وشقيقتي
سرب الفراش ، وللفراش فرار
بغنيمتي فرحا ، وقلب شقيقتي
متفطر ، فلها الحنان شعار
تخشى ملامسة الفراشة خيفة
من أن يزول عن الجناح غبار

٢٠ ـــ الصدى

بربك ، أي صوت قد تعالى
فصيحا نستطيب له مقالا
عميقا صافيا ، يجري وحيدا
يجاوبنا ، ولم يسأل سؤالا
يردد هاتفا صوتا بصوت
وحجب الذات اكسبه جلالا
الا ذاك الصدى ، فاسمعه واخشع
لقد ملأ الاباطح والجبالا
فيا لله ، نفس دون جسم
تجول ، وانما عزت منالا
تبلغ ما عليها الدهر املى
وتبرزه تماما واكتمالا
ونحن بني المنون ، أما كفانا
نعمق في غوايتنا ضلالا
عبيدا للتطوح والملاهي
تعشقنا التنازع والنضالا
الا ذاك الصدى يحيي ، فسمعا
ضمائرنا له اضحت مجالا
يردد في النفوس حديث قوم
لقد نزحوا عن الدنيا ارتحالا

عظـات مـن وراء القبـر لكـن
قـد احتلـت طبائعنـا احتـلالا
صـدى صـوت الالـه بكـل نفس
فسمعـا للصـدى ، امـا تعالـى

٢١ — عبادة الحب

هـي لفظـة علويـة ولطالمـا
هـزأوا بهـا ، وبهزئهم لا اقتـدي
لا تزدري ذاك الشعور ، وان يكن
ازرى بـه قلـب السخيف المعتدي
فاليأس فيـه والرجـاء ، كلاهمـا
لا تخمـدي نـار الرجـاء الاوحـد
عطفا علـى المضنى ، فعطفك عنده
اغلـى واثمن مـا يـروم ويجتدي
انـا لست احبو مـا يسميه الورى
حبـا ، ولكـن فاسمعي لتنهـدي
قلبـي يقـدم في الغـرام عبـادة
ان السمـاء تـرق للمتعبـد
يهفـو الفؤاد الـى جمالك مثلمـا
تهفو الفراشة نحـو نـور الفرقـد
واليـأس يرتقـب الرجـاء كأنـه
ليـل يبشـر بالصبيحـة في الغـد

٢٢ — قلبي يثب في صدري

كلمـا ارنـو الـى قـوس قـزح
لائحـا في الافـق قلبـي وثبـا
رجـلا ادهـش منـه بفـرح
مثلمـا قـد كنـت في عهـد الصبا
واذا مـا الشيب في رأسي اتضـح
لـم ازل انظـر فيـه العجبـا
دهشي بـاق ، وان عنـي نـزح
قلت : زر يـا موت ، انـي ذهبا
اصبـح الطفـل غلامـا ، ومـرح
ثـم اضحـى بعـد اعـوام ابـا
اشتهي عمري — اذا الله سمح —
طاهـرا كالطفـل يهـوى اللعبـا

٢٣ — هل اسمك « مريم » ؟

ما اسم المليحة ؟ هل انادي « مريما » ؟
فالقلـب شـاء كـذاك ان يترنمـا
خـير الاسامـي في الـورى والذها
وافقتـه ، وعليـك حـل محكمـا
هـوذا سميتـك التـي دعيت بـه
لهجت بهـا الدنيـا واجواق السما
احبب بذاك الصوت شنـف مسمعي
وبحسن ذاك الثغـر منـك تبسما
وبـذلك الشعـر الـذي في ليلـه
عـودت قلبـي ان ينـام ويحلمـا
حسن بـه شرك لأربـاب الهـوى
قلبـي فداؤك ، مـا لـه ان يسلما
لا تأسريـه ، فليس نسرا هائجـا
او لـم تـري فيـه الهزار منغمـا
رفقـا بصبك ، وانصتي لانينـه ،
فالحـب علمـه بـأن يتألمـا
واذا الدجى ارخى عليـك سدولـه
وخلـوت وحـدك ترقبين الانجمـا
فخذي تريضي ، عـل فيـه شفاعة
ان تقرئيـه تلطفـا وتكرمـا
واذا غضبت علـي فانسيني ، ولا
تدعـي العذول بذلتـي ان يعلمـا

٢٤ — راعـوث

بـدت بـين السنابـل في الحصاد
مهفهفـة وضـوء الفجـر بـاد
تهـادت بالمحاسـن اقحوانـا
ترافقهـا السنابـل في التهـادي
وضمتهـا الاشعـة لاثمـات
ونـور الشمس يلثـم عـن بعـاد
ففـاض النـور في الخدين يهـدي
قلـوب العاشقـين الـى الرشـاد
ولكـن في الغدائـر عتـم ليـل
يضـل المستهـام عـن التمـادي
وقبعـة تحجـب مـن سناهـا
والا عـم اطـراف البـلاد
وعيناهـا علـى صرعـى هواهـا
توشحتـا بأثـواب الحـداد
فألحـاظ واهـداب وشعـر
سـواد في سـواد في سـواد
الا لله مـن صبـح وليـل
قـد اجتمعـا علـى غـير اعتيـاد
جمـال مـا رايـت لـه نظـيرا
يمجـد حسنهـا رب العبـاد

٢٥ — وداع الحبيبة « ماري »

هاتي (...) ، يا حبيبة ، (...)
(...) الهوى ، ثم اجلسي (...)

فلقد دعا الوطن العزيز ، وأنت لي
وطني العزيز ، فليس لي من مهرب
تلك السفينة بانتظاري ، انها
تهتز من نغم الحماس المطرب
والريح هب من الخضم مناديا :
حان الفراق ، دع الحبيبة واذهب
سمعا ! صدى الابواق يدوي ، وانظري
خفقَ البيارق في الهواء الارحب
وتحضرت بيض الحراب كأنها
شهب السماء تشق جوف الغيهب
صعقات روح الحرب صرمت المدى
وبدا العجاج مع الدم المتصبب
لا البحر هاج ، ولا الشواطىء زمجرت
تغري فؤادي بالبقاء الاطيب
كلا ، ولا هول الوغى ، لكنما
ذعر الفؤاد من الفراق المرعب

٢٦ — مركب الوطن ومن بناه

ارخ الشراع على اللجج
ومر الرياح ، فلا حرج
يا مركب الوطن الذي
في « الاتحاد » قد اندمج
سر ، يا عظيم ، بمجد ذا
تك ، فالخضم لك انفرج
سر ، فالخلائق اودعت
فيك البصائر والمهج
فعلى مصيرك بؤسها
يبدي الزمان او الفرج
فلأنت للبشرية الص
بح البديع قد انبلج
لك هيكل من فكر قب
طان بصنعته ابتهج
أعلمت من قوى ضلو
عك ؟ أو حبالك من سرج
أعلمت من نسج الشرا
ع لجري مجدك فانتسج
أي المطارق ، اي سنـ
دان بشغلك قد وهج
أو أي آتون مرا
سيك المحكمة اختزج
كم من فؤاد كالحدي
د بصدرك السامي اندرج
لا ترهب الهزات أو
صوتا اذا ما الصوت ضج
لا ، لن تصادمك الصخور
وانها لطم اللجج
بل انها خفق الشرا
ع بعصفة الريح اختلج
بالرغم من هول العوا
صف حي مقبلة الحجج
شق العباب مقوما
ما في مرامك من عوج
نفديك بالارواح ، يا
ملقى الاماني والمهج

٢٧ — ليس لنا بل لها ، يا رب

ليس — يا رب — لنا ، ليس لنا
مأمن الليل ، ولا أنس النهار
لا ، ولا الوحي السماوي الذي
يوقظ النفس بنور وبنار
او فؤاد الحزم او صوت العلى
او مآتي الجد تولينا الفخار
كلها منك ، اذا شئت همت
واذا شئت تلاشت كالبخار
قد حرمناها ، وقد أعطيتنا
اثر الجرح بتعذيب وعار
وتسلطت على انفاسنا
وكما تأمر نجري ونـدار
قد طوت ايدي الاسى اعمارنا
والردى يقضي بانزال الستار
فاسترد الروح ، واسلب نورها
وليكن في الارض والجو انفجار
يا الهي ، انما احفظ ذاتها
وجمالا منك ، يا رب ، استنار
واحم كنز الحب ، لا تسمح بأن
يختفي ، أو يعتري الحب اندثار
ما شقائي في جحيمي ان تدم
في سماء العز يعليها الوقار

٢٨ — هلموا وارجعوا

عودوا على زند تطاير
فوق لجات البحار
اصواتكم رنت من الـ
ابعاد في هذي الديار
ناداكم الوطن العزيز
فقد براه الانتظار
هوذا شوارعه ازدهت
كي تلتقيكم بافتخار
آمالكم ، لا ، لن تموت
فلا تقولوا : الفكر حار
عودوا ، وما أحلى الرجوع

الى صروح الافتكار
تدعوكم ساح الجها
د والاختراع والابتكار
فاستأنفوا حرث الحقول
على اناشيد الهزار
واستصحبوا الشعراء حلما
فالنجوم لهم جوار
عودوا الى عقد الزمان
وحللوها باصطبار
تلك الانامل لن تخيب
وان تخب ، ما ذاك عار
حسب النفوس جهادها
ولئن تلاها الانكسار
عودوا على ظهر السفينة
وامتطوا متن البخار
جمع الدخان جيوشه
في كل مرحلة ، وسار
تلتف حول بنودكم
طي الهواء لها انتشار
محروسة تلك السفينة
قلبها بالشوق طار

٢٩ ـ الشيخوخة

هياج البحر يعقبه سكون
اذا ما اقلعت عنه العواصف
وارواح الانام لها هدوء
متى سلت المطامع والعواطف
تحقق بطل ما ركنت اليه
وتذكر ان ما اغواها تالف
ضباب الحب يقشع والاماني
فتتضح المناهج والمواقف
وتنظر ما حواليها فراغا
وطول العمر للمستور كاشف

الا للروح مأوى من ظلام
تعتقه حوادثه السوالف
وفي جدرانه تجري شقوقا
ومنها النور يدخل بالمعارف
اليس الجسم ان امسى ضعيفا
من الايام اضحى المرء ثاقف
وحين الروح تدعوه الاعالي
ويصبح من وداع الارض واجف
يرى الدارين : تلك على سلام
وهذي في التنازع والتخاوف

٣٠ ـ الشهيد الحقيقي

احق فتى بأن يدعى الشهيد فتى
في عمره لم يرق بين الانام دما
هو الذي روحه تحتج معلنة
قبح الشرور التي تستهلك الامما
وانه ابدا للحق مطلب
يسعى ، ولو كان يلقى سعيه عدما
بعزمه يخلق الاصلاح مؤتمنا
على مبادئه يرعى لها الذمما
ما ثبط البطل في الدنيا عزيمته
بل كلما جار اضنى النفس واعتزما
بالله ايمانه ، يبغي مشيئته
تراه في عصره بين الورى علما
وكيف تحرقه نار العدى ، وله
قلب ذكا في سبيل الحق ، واضطرما

٣١ ـ انشودة الصباح

هجر البلبل صبحا عشه
نافضا جنحيه من قطر الندى
حسب المشرق في شباكها
فاهتدى بالنور وجدا وشدا
ليس من فجر اذا لم تطلعي
فاستفيقي ، جئت كي امجدا
يرقب النوتي في ابحاره
نجمة الصبح ، ويطوي الامدا
ولها التاجر يحني راسه
املا يسعى على طول المدى
ويرى الحارث في الشمس منى
راجيا من ارضه ان يسعدا
انما العاشق قد حيره
كيف قد ساروا على غير هدى
شغلي الحب واصباحي ، اذا
لاح في وجهك فجري وبدا
فاستفيقي ، واطردي حجب الكرى
عن محياك ، وحيي الاكبدا
ولدى الشباك لوحي ، وابداي
فجر نفسي ، فلك النفس فدا

٣٢ ـ « أبوللو » أمام رسم الحبيبة

تنشد الشعر ناعما في الاعالي
جالسا فوق عرشك المتلالي
نائيا عن عواصف حاويات
بصفير الرياح لست تبالي

يا « أبوللو » ، ما ظللتك غيوم .
عش سعيدا بروعة وجلال
وارانـي في هالة من بهاء
عكسته على ذات الجمال
يا لنور من عرشها حف نفسي
فتسامت الى أعالي الاعالي
حيث قلبي — الا بشغل هواها —
صار حقا من البلية خالي

٣٣ — أحياك شعري

كم من غوان تتجنى
تيها على قلب المعنى
في مركبات العز تجري
محسنة في الغنج فنا
لم ينشد الشاعر لحنا
في حسنها الا تغنى
تنسى هواهن الليالي
كأنهن ما فتن
وانت قد أطلقت شعري
فسار في الدنيا ورن
وحين هذا العصر يطوى
كأن ما كان وكنا
كم تشتهيه ملكات
لو انه مني لهن
وان تلت شعري العذارى
كذاك راحت تتمنى
لو عاصرت قدا بديعا
حتى تراه يتثنى
معتزة فخرا بحسن
لقد سبا انسا وجنا
احياك شعري ، وهو يروي
دوما حديث الحب عنا

٣٤ — المروج المهجورة

كنت تزهين جدة واخضرارا
بجمال مملوءة ازهارا
كنت في الامس مسرحا للاماني
تصرف الوقت في حماك العذارى
حينما جئن بالسلال ، وراحت
كل حسناء في الهوى تتبارى
واحتملن الزهور مبتهجات
لتزين بالزهور الديارا
حينما درن في الحمى راقصات
وتغنين فاستبين الهزارا

كل عذراء كللت بالخزامى
وكنبع من صفوها تتجارى
آه ، واليوم ، لا نراهن يلعبن
وينشدن في الهوى أشعارا
هجرتك الاقوام كالفضة الزهراء
والشعر في الهواء استطارا
انت عندي كمسرف فقد المال
واخوى بعد الثراء افتقارا
نائحا ، لا يريد أن يتعزى
ووحيدا ، لا يستطيب الجوارا

٣٥ — لدى سرير الموت

ليلة بين الليالي
ابدا تكسف بالي
قد سهرناها قياما
وهي ملقاة قبالي
لم يخل السقم منها
اثرا غير الخيال
صدرها يهبط حينا
ثم يعلو بالتتالي
يا له مدا وجزرا
يا لحل وارتحال
وتخاطبنا بهمس
وحركنا بانسلال
واعرناها قوانا
علّ تبقى في المجال
انما العمر وهول الموت
كانا في نضال
اشكل الامر علينا
بين هدي وضلال
فرجاء مستفيض
وقنوط متوال
وحسبنا أنها ماتت
وكانت في خبال
وحسبنا أنها تحيا
وكانت في زوال
واتى الصبح ولكن
لم يكن بالنور حالي
اظلم الجو وهلت
من مآقينا اللآلي
اغمضت أجفانها تزري
بسقم واعتلال
ورأت صبحا بديع الـ
حسن في دار الاعالي

٣٦ ــ يتراءى لي بعض الاحياء

تراءى لنفسي على ساح امسي
غلام له قد حفظت الذمام
من اللعب عاد واذكر اني
انا كنت في الحي ذاك الغلام
فقلت : سلام على طيف شخصي
فبات يلاحظني بابتسام
فهل خاب ظننا غداة رآني
ولم اك ما شاء بين الانام

٣٧ ــ الماضيات

دقت الساعات من أبراجها
بطنين كنسيج المنكبات
فهي أنات ليال قد مضت
وشكايات الامور الجاريات
رددت في خاطري أخيلة
واثارت في فؤادي الذكريات
كنجوم الليل أيامي ازدهت
واختفت عني لما الليل فات
كشموع قد انارت هيكلا
برهة ، ثم تلاشت ذائبات
والاماني في رماد أومضت
بعدما في الصدر ضاعت لاهبات
من معيد انجم الحب التي
في سماء العمر كانت ساطعات

٣٨ ــ حب عميق

رددت نفسي انغام الغرام
مدة طولى ، فملتها الانام
سحرتني ، يا لها من ساحر ،
وابتلت جسمي بآلام السقام
قلت : يا نفسي ، اهجري ترديدها
فأجابت : ما تعودت الفطام
من دواعي الحب ما لي مهرب
لذة الدنيا غرام وهيام
فله صوتي ، وفيه قلمي
ابدا ينشد منظوم الكلام
ايها الحب ، اهانوك ، وكم
وجهوا نحوك لوما واتهام
وادعوا انك مر ، كذبوا ،
ثمّر الحب لذيذ (. . . . .)
كل لذات الوجود اجتمعت
وتناهت فيك ، يا مغنى السلام

انا ادريك ، وقلبي طائع
وحياتي في سوى الحب حرام
لك عندي هيكل ادخله
(. . .) ، أتلو (. . .) باحترام

٣٩ ــ في غادة حسناء

يا جدولا ينساب في غابة
حلوا ، رعاك الله من جدول
تحكي جمال الطهر في غادة
تهوى جوار الروض والبلبل
من مهرجان الخلق مالت الى
سعادة الحياة في معزل
حازمة باللطف ، لا تنثني
عن قصدها للشرف المعتلي
باركها الخلاق من عرشه
لجريها في المسلك الامثل
في وجهها السماء معكوسة
كعكسها في وجهك المنجلي

٤٠ ــ روح الوجود

عضد الوجود الخادم المتطوعا
واحب في الخلق الهمام الاروعا
وقضى باهلاك الضعاف تآمة
حتى يجدد في الخلائق مبدعا
فهو (. . .) يعز (. . .) القوى
ويزيح من تحت السقيم الموضعا
فارفض مراحمه ، وحقر جوده
حتى يمد اليك منه الاذرعا

٤١ ــ بعض الطير في الربيع

ان بعض الطير في فصل الربيع
يطرب الاوراق باللحن البديع
ومتى بهجتها زالت ، جفا
وتناءى قاصدا غير ربوع
فهو قلاب ، وقد خادعها
ما صفا ، ما رق للقلب الوجيع
في خريف العمر قد خلفها
ولكم حنت الى وقت الرجوع
وانثنت شاحبة مهزولة
في ضياء الشمس والنجم الرفيع
وانا آنستها حتى قضت
وهوت للارض من عالي الفروع
لم تزل اناتها في مسمعي
وهي صرعى تحت اقدام الجموع

٤٢ ــ أنشودة ايطالية

احبب بحسن الروض في وادي الحمى
حيث الهزار أوى وصاح مرنما
في الحي عن كثب روى قصص الهوى
للعابرين من القرى متظلما
حيث اعتلى السنجاب أشجار الغضا
باللوز يلهو قارضا متنعما
وسقى الحيا تلك البساتين التي
بالزهر عطرت النسيم مهينما
وتنورت بالبرتقال حيالها
غار الكهوف ، وقد تصبي المغرما
ولكم سحرت هناك ساعات الرضى
بلذيذ الحان الهوى متألما
وضفرت ملتهيا اكاليل العلى
للفائزين متى النهار تصرما
كم هاجني الراعي بصرخة بوقه
حين الصباح بدا ، واخفى الانجما
ولكم طربت برقص غادات الحمى
لما دعا داعي الغرام ونغما
واها لألحان سرت وترحبت
بحلول انس الليل لما اظلما
قلبي له بالذكريات سعادة
أبدا أحن اليك ، يا وادي الحمى

٤٣ ــ الحبيبة « ايفا »

أنت يا ذات المعالي في النساء
لحظك الفتان في الدنيا استضاء
مثل لحظي من مصابيح السماء
ان وجداني بهذا مخبري
هاك روحي ، فعليها سيطري
فهواني علوي المصدر
فاسمحي لي أن أجيل النظرا
بجمال هو ملكي في الورى
ان قلبي هكذا قد شعرا
لا أبالي ان ذكت نار العيون
فهي تحمي رائع الحصن المصون
تشعل الحب ، وتقضي بالفتون
انها نار الهدى نحو النعيم
لفؤاد المستهام المستقيم
وذوو الشك لهم فيها جحيم

٤٤ ــ الفرد والمجموع

لا شيء يصلح أو يحلو على حدة
فالبعض بالكل قد تمت معانيه
رأيت طيرا شدا فجرا على فنن
فخلت من جنة سالت أغانيه
فرحت أقصده في العش مقتنصا
لما سرى الليل ، واحتلت دياجيه
وعدت ، وهو أسيري في حمى قفص
يا لوعة الطير ان ضاقت مناحيه
غنى ، ولكنه ما عاد يطربني
وكيف يطرب من ضاعت أمانيه
لم اجلب الوحي من صدر السماء له
وفاته الروض ، فاتته سواقيه
هناك غنى لسمعي ، والوجود شدا
لأعيني ، وانبرت نفسي تناجيه

٤٥ ــ الجمال الحقيقي

أين التي حسنها بالعقل معتصم
رقت وراقت فحاكى لطفها النسم
يا شين حسناء بات العقل ينقصها
فانما هي في شرع الهوى عدم
وأين مثرية في الغيد ارغبها
لم يمتلك وجهها التعكير والورم
تسوم نفسي تحقيرا بصحبتها
فما الذي في هواها القلب يفتتم
وان طلبت ذكاء لم أجده بلا
نفس مخادعة بالغيظ تحتدم
أعوذ بالله ، ان صحت عزيمتها
فهي السلاح ، ومنها الجرح والالم
وان أرم غادة شاقت لطافتها
فالريح اثبت منها حين تنهزم
فحبها ليس لي وحدي ، يشاركني
بحسنها ذا ، وهذا ، أنتم ، وهم
هاتوا لي امرأة في الحب مخلصة
فالحسن فيها ، وفيها الوفر والنعم
تحوي خلاصة مجد الكون أجمعه
وهي السعادة ، وهي الفهم والكرم

٤٦ ــ لا تهزأ باناشيد الشعراء

للشعر مجد ، فلا تهزأ بدولته
واذكر محاسنه من سالف الحقب
لولا مفاتيحه ما كان ادهشنا
نهى « شكسبير » بالابداع والعجب
يهدي نفوس بني الدنيا بحكمته
الى انتصاراتها في الفضل والادب
فالشعر عود ، وكم « بتررك » داعبه

مستخرجا بلسما من صوته العذب
وكم على نايه « تاسو » اثار منى
وهز أرواحنا من شدة الطرب
بالشعر « كامنز » في منفاه نال اسى
مهمدا نار قلب فيه مضطرب
وشعر « اسبنسر » بالسحر يكشف عن
بدائع الجن بين الجد واللعب
وراس « دانتي » (. . . .) الشعر كلله
بغار اكليله من روضه الرطب
قد جال بالروح ما فوق الخيال الى
عوالم تعتلي حتى على الشهب
وقلب « ملتون » لما خانه بصر
وبات من يأسه في غيهب الوصب
اسال في بوقه من شعره نغما
يسمو بأنفسنا (. . .) في الكتب

٤٧ ــ أقسمت ، ولكن على عجل

اقسمت ، في الزمن الاخير ، على عجل
اني عدلت عن الصبابة والغزل
لما نظرت الى مسرات الهوى
كيف انقضت ومضت مصرمة الاجل
اقسمت لما البغض بات مسلطا
وأمات في صدري الاماني والامل
وعدلت عن قسمي لضعف طبيعتي
لما تولتني السآمة والملل

٤٨ ــ حلم هي الحياة

قلت : اقبلي لثمات ثغـ
ري ، فوق وضاح الجبين
فلقد دنا ــ والهفتي ــ
يوم الوداع ، فودعيني
اني لأقسم بعد منا
امعنت في ماضي شؤوني
ان الذي قد قلته
حق ، فلا ، لا تعذليني
ضيعت آمال الصبا
واعتضت عنها بالحنين
دب المشيب بمفرقي
وخلطت شكي باليقين
هذي الحياة اظنها
حلما ، وقد خابت ظنوني

موج الخضم يروعني
متلاطما حول السفين
متدافعا نحو الشوا
طىء ، مثل آساد العرين
ملأ الزمان مسامعي
رعبا ، أما تكفي شجوني
فسألت رمل البحر عن
حظي ، وما قد كن حيني
واخذت منه قبضة
ووثقت بالكف المكين
فتناثرت حياته
فكأنها دمع العيون
الفت هدير البحر ، وا
عجبا ، أروعها انيني
لم استطع انقاذ وا
حدة من الموج الخؤون
الله من فشلي ومن
ضعفي ، اما لي من معين
هذي الحياة اظنها
حلما ، وقد خابت ظنوني

٤٩ ــ البساطة الخلابة

أبدا وشاحك قد غلا
ابدا تعشقت الطلا
ابدا اراك كأنما
تيها دخلت المحفلا
منك العطور تضوعت
والوجه بالصنع انجلى
مهلا ، بعثت الشك في
من قد راى وتأملا
تحت اصطناعك من درى
ماذا اختفى وتعطلا
ما كل ذلك صالح
ما كل ذلك قد حلا
اهوى المحاسن مثلما
شاء الاله وشكلا
احبب بوجه واضح
من كل تطرية خلا
ببساطة الهندام ، بالشعر المسرح مرسلا
ما ابدع الحسن الطبيـ
عي الصريح المهملا
يغري التبرج أعيني
اما الفؤاد فلا ، فلا

٥٠ ــ القطاة في الثلج

تناثر دمع المزن وهو مجنح
فراح ببطء في الجهات يدور

وهام جمال الطقس من برج مجده
بحسن قطاة في الفلاة تطير
على الارض القاها الغرام وحيدة
ومن شوقها بين الضلوع سعير
فأهدى اليها فضة الثلج عله
الى قلبها بعض العزاء يعير
فطارت ثليجات الى عش صدرها
لتبريده لو ان ذاك يصير
ولكنها عادت دموعا واجلدت
كحبات ماس بالشعاع تمور

٥١ ــ لكائنة بالفردوس

كنت لي ، يا حبيبتي ، كل شيء
مستحب ، اليه نفسي تتوق
فكجزر خضراء في وسط بحر
وكنبع يفيض منه العقيق
ولقد كنت مذبحا كللته
ثمرات على زهور تروق
وبتلك الزهور كان هنائي
يا لحلم ، ما لاح يوما ليبقى
ورجاء ، ما كان منه شروق
كالدراري ، الا ليحجب عني .
ان صوتا وعاه قلبي الرقيق
بي ينادي : الى امامك ! فالسنق
بل الحي للخلود طريق
بئس ماضي الحياة « وادي الشقاء »
آه آه ، قد انطفا نور عيني
فالذي نام سوف لا يستفيق
كلمات تجمد البحر فوق الرمل
هولا ، وهو المحيط العميق
كيف ، من ايكة لقد جففتها
صاعقات ، يرجى غصين وريق
كيف نسر يهب بعد الضناء
بشرود الافكار تمضي سريعات
اليك الايام بي ، وتسوق
وليالي كل احلامها ، فهي
حنين الى بهاك وشوق
لأثير ترنو لحاظك فيه
حيث رجلاك من خطاها بروق
حيث عدن انهارها بصفاء

٥٢ ــ الخالدات المنيرة

الا كل هاتيك المساعي نحثها
على شهرة في ارضنا مستطيره
وما هي الا باطلات لهائم
بحسن معان خالدات خطيره
معان علت بالحق وهي حقيقة
وليست كأوهام تغر حقيره
تئز تجاه الفكر في غفواتنا
ولا تنثني الا رمتنا بحيره

بلى ، ان روحي وهي جوابة الفلا
يعز عليها الحصر وسط حظيره
وليست على الدنيا تعلق مطلبا
اذا لم يشر للخالدات المنيره

٥٣ ــ مزمور الحياة

لا تردد بقنوط :
انما الدنيا منام
فخنوع الروح ــ لو تدري ــ
هو الموت الزؤام
ضل من يزعم ان الـ
قبر للعيش ختام
كتب الخلد على الروح
ولو تبلى العظام

ليس شأن الله في خلـ
ق نعيم واغتنام
بل صلاح كل يوم
بعد يوم باعتزام
فاغتنم الاوقات ، فالـ
أعمار مرت كالسهام
وقلوب الناس دقت
منذرات بالحمام

والورى حرب عوان
فازدحام واقتحام
كن بسوق الحرب ليثا
لا تسق سوق النعام
وادفن الماضي
ولا تحفل بما سوف يقام
واعتمد ربك في الـ
حاضر ، واجهد للمرام

واقرأ التاريخ وادرس
سير القوم العظام
تاركا مثلهم
آثار مجد للأنام
يهتدي من ضل فيها
كمنار في الظلام

وتعـــين السفـــن في الـــ
يـم الـــى شـط السـلام

ايهـــا النـاس ، جهـــادا
باصطبـــــار لـــلأمـــــام
وانشــروا العمــران في الـــ
ارض علـــى طـول الـدوام

٥٤ ـــ افتراء على القرود

قصدت يومـا غـاب جـوز الهنـد
امشي الهوينـا في حماهـا وحـدي
فـلاح لـي قـرد علـى الاغصان
وخلفـــه قـــردان آخـــران
وقـــد جـرت بينهـم الابحـاث
عمـا بـه قـد جاءت الاحـداث
فقـال قـرد منهـم مرتاعـا :
هـلا سمعتم افـك مـا قد شاعا
ويـح بني الناس ، ادعوا التسلسلا
من شعبنا الاشرف ـــ لا ، وألف لا
فهـل رأيتم بيننا مـن قـد هجـر
قرينـة ، أعطـاه اياهـا القـدر
فهـاج مـن هجرتـه بلبالهـا
وهالهـا مجوعـا أطفـالهـا
او هـل شهدتم في القرود والـده
عـن بيتهـا تظـل دومـا شارده
فتتـرك الاولاد عنـد الجـاره
وغيرهـا ، للنـوم والاداره
حتـى اذا مـرت عليهم السنـون
لا يعلمون امهـم مـن تكـون
مـا في حمى القرود من ضل وجار
وحول جـوز الهند قـد شادْ جدار
محرمـا ماكلـه علـى الجيـاع
ولـو هـوى معظمه منـه وضاع
مـا قولكم ، لو حول اشجاري أنا
بنيت سورا صـد عـن جوزي المنى
السـتم ترمونـنـي بالجشـع
وتلعنـون في الحيـاة طمعـي
فـرب جـوع قادنـا للسرقـه
لوخصـام سيـىء وتفـرقـه
ونحـن معشر القـرود في الـورى
لا نسكـر الليـل ونستحلي السرى
وبالعصي لا نبالـي والسـلاح
لقتـل قـرد بيننـا يهوى الصلاح
يـا صحب ، ان الناس قد تحدروا
لكنهـم ضلـوا بمـا تصـوروا
لئـن هـم مـن السمـاء نزلـوا
فـلا يقولـوا مـن قـرود نسلوا
فانـنـا نحيـا بأمـن وسـلام
لا شـر فيمـا بيننـا ولا خصـام

أ ـــ تخريج القصائد

1. Tennyson. Break, break, break.
2. Longfellow. The arrow and the song.
3. Browning. My star.
4. Whitman. A noiseless patient spider.
5. Shelley. Music, when soft voices die.
6. Crowell. There are homes.
7. Browning. Misconceptions.
8. Anonymous. Sister, awake !
9. Tennyson. Flower in the crannied wall.
10. Lowell. From: Elegy to the death of Dr. Channing.
11. Tennyson. Crossing the bar.
12. Aikin. From:Life.
13. Tennyson. A farewell.
14. Shakespeare. Sonnet no. 29.
15. Thompson. Envoy.
16. Anonymous.
17. Rogers. Go—you may call it madness.
18. Arnold. The last word.
19. Wordsworth. To a butterfly.
20. Wordsworth. The scho.
21. Shelley. One word is too often profaned.
22. Wordsworth. My heart leaps up when I behold.
23. Holmes. L'inconnue.
24. Hood. Ruth.
25. Burns. A farewell.
26. Longfellow. The ship of state.
27. Anonymous.
28. Burns. Come back, come back !
29. Waller. Old age.
30. Wade. The true martyr.
31. Davenant. Aubade.
32. Hood. Verses in an album.
33. Drayton. Idea no. 6.
34. Herrick. To meddowes.
35. Hood. The death-bed.
36. Winter.
37. Galsworthy. Past.
38. Anonymous. Devotion.
39. Cowper. To a young lady.
40. Emerson. From: The world-soul.
41. Landor. Very true, the linnets sing.
42. Rogers. An Italian song.
43. Emerson. To Eva.
44. Emerson. Each and all.
45. Beaumont. True beauty.
46. Wordsworth. The sonnet.
47. Anonymous.
48. Poe. A dream within a dream.
49. Jonson. Simplex munditiis.
50. Anonymous.
51. Poe. To one in paradise.
52. Anonymous.
53. Longfellow. A psalm of life
54. Anonymous.

يا شاعري

سيان ، قلبك في نهاري هاجري ... أم طيف حبــك في الليالي زائري
يتحدثون ! وأنــت أدرى بالــذي ... يتحدثون ، اذا عبــرت بخاطري
من أنت ؟ ود الحاسدون لو اهتدوا ... ولأنت ، لو علموا ، ضياء الناظر
فـماذا أذعتــك تمتمــت نيسانــة ... ورنا العبير الى الربيع الزاهر :
« يا شاعري ! » ووددت لو رجعته ... نغما يتمتم ، عاتبا « يا شاعري »
طوفت في جــزر العيون ، مسائلا ... عــن موجــة رقــت لجفن ساهر
فقرأت في عينيك مــا كتب الهوى ... ولثمــت نمنمــة الجمــال الآسر

أشقى نساء الارض اهمالي لهــا ... منــذ ائتلقت على سطور دفاتري
لــم تعنني امرأة عداك ، أروقها ... انــي ربيت علــى هواك الطاهر

أوحيت لي ، في الحب ، ما أوحيته ... فالعبقرية بعــض ذوب مشاعري
أزريت بالاقلام ، فانساقت الــى ... قلمي تبايــع كابرا عــن كابــر
فالناثــرون يدللــون معاطفــي ... والشاعــرون يجــررون مــآزري

فوزي عطوي

ب ــ بياء باسماء الشعراء وارقام قصائدهم

(١) الامريكيون

Crowell, (Mrs.) Grace Noll (1877-1969): 6
Emerson, Ralph Waldo (1803-1882): 40, 43, 44
Holmes, Oliver Wendell (1809-1894): 23
Longfellow, Henry Wadsworth (1807-1882): 2, 26, 53
Lowell, James Russell (1819-1891): 10
Poe, Edgar Allan (1809-1849): 48, 51
Whitman, Walt (1819-1892): 4
Winter, William (1836-1917): 36

(٢) البريطانيون

Aikin, (Mrs.) Anna Letitia (1743-1825): 12
Arnold, Matthew (1822-1888): 18
Beaumont, Francis (1584-1616): 45
Browning, Robert (1812-1889): 3, 7
Burns, Robert (1759-1796): 25
Clough, Arthur Hugh (1819-1861): 28
Cowper, William (1731-1800): 39
Davenant, William (1606-1668): 31
Drayton, Michael (1563-1631): 33
Galsworthy, John (1867-1933): 37
Herrick, Robert (1591-1674): 34
Hood, Thomas (1799-1845): 24, 32, 35
Jonson, Ben (1573-1637): 49
Landor, Walter Savage (1775-1864): 41
Rogers, Samuel (1763-1855): 17, 42
Shakespeare, William (1564-1616): 14
Shelley, Percy Bysshe (1792-1822): 5, 21
Tennyson, Alfred (1809-1892): 1, 9, 11, 13
Thompson, Francis (1859-1907): 15
Wade, Thomas (1805-1875): 30
Waller, Edmund (1606-1687): 29
Wordsworth, William (1770-1850): 19, 20, 22, 46

(٣) المجهولون

Anonymous: 8, 16, 27, 38, 47, 50, 52, 54

(*) زهير ، هو زهير بن ابي سلمى الشاعر الجاهلي .
اليازجي ، هو ناصيف اليازجي (١٨٠٠ ــ ١٨٧١) .
الاديب ، هو اديب اسحق (١٨٥٦ ــ ١٨٨٥) .
الحداد ، هو نجيب سليمان الحداد (١٨٦٧ ــ ١٨٩٩) .
شكسبير (انظر المعربة ١٤) .
هوغو ، هو الفرنسي Victor Marie Hugo (1802-1896)
كولوريدج ، هو البريطاني Samuel Taylor Coleridge (1772-1834)
بوب ، هو البريطاني Alexander Pope (1688-1744)
بــو (انظر المعربتين ٤٨ و ٥١) .
وردزورث (انظر المعربات ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٤٦) .
لونكفللو (انظر المعربات ٢ ، ٢٦ ، ٥٣) .

واشنطن ... جورج ديمتري سليم



اميل توفيق

تكامل الشخصية

عن طريق اللعب ابان الطفولة

في مناسبة عام الطفل

بقلم اميل توفيق

* * *

ان الشخصية المتكاملة للطفل هدف تربوي ، يدعو اليه علماء النفس والتربية باهتمام ، ويركزون دعوتهم على اساس تطبيق مبدأ المفهوم التكاملي ، اي العناية بالجوانب العقليــة والوجدانية واللغويــة والاجتماعية والنفسيــة للطفل ... والعمل على تكاملها .

ان هذا التكامل سيكون منطلقا الى تنمية الشخصية في الاتجاه الفردي ، وانمائها في الاتجاه الجماعي ، في وقت واحد ، اي ان الشخصية تجمع « أنا الفردية » الى جانب « أنا الجماعية » ، وبذلك تتكون الركيزة الاخلاقية بحيث يتوازن في الفرد تحمسه لنفسه ، وتحمسه للجماعة في نفس الوقت .

ولهذا فيجدر بنا ان ننظر الى موضوع التكامل ، منذ الوقت الباكر في الحياة ... اي منذ الحضانة وما بعدها ... او الوقت الذي تكون فيه التأثيرات مجدية ، والتوجيهات الاولى عميقة الاثر . ولاننا الآن في زمــن الاحتفال بعام الطفل ، وزيادة الرعاية لأدب الاطفال ، والعناية بأن يتمثل الاطفال الافكار والاتجاهات السليمة ، يحق لنا ان نلتفت اكثر الى حاجات الطفولة .

ان وراء التكامل هناك حاجتين اساسيتين يجب ان يجدا الاشباع عند الطفل . الحاجة الاولى هي حاجته للامن او الطمأنينة ، والحاجة الثانية هي حاجته للمغامرة وبتعبير أعم الحاجة للحرية ... وهما في الواقع حاجتان متعارضتان .

واحسب ان الظاهرة النفسية الهامة التي تندمج فيها هاتان الحاجتان — بدون تعارض — ويظهر فيهــا الاشباع اجلى ما يمكن هي ظاهرة اللعب . ففي اللعب مغامرة الطفل او حريته ، كما ان فيه امنه او طمأنينته . ان بدون الطمأنينة لا تظهر الحرية ، وبدون الحرية لا يؤدي الطفل دوره كما ينبغي اثناء اللعب .

ان المجال العاطفي (او الانفعالي) السوي الذي يحيط بالطفل انما يختلف باختلاف عمره — وكذلك الحال بالنسبة لمجال حريته . ومع ذلك فلا بد ان يتوازن المجالان ، بتوازن اشباع الحاجتين . فاذا ما اشبعت حاجة منهما اكثر من الاخرى ، كانت تنميتها على حساب الاخرى ، اي انه اذا احيط الطفل بالحنان والتعاطف والامن لدرجة زائدة قلت حريته ، او كانت استجابته العاطفية اشد من استجابته لاشباع حاجته للمغامرة .

في **اللعب الجماعي** الذي يجب ان نشجعه ونوليه اهتمامنا ، تنمــو العلاقات التي تتميز بالالفة الروحية الحميمة . ليس فقط بين الاطفال ووالداتهم ، بل بين الاطفال وآبائهم ، او بينهم والرواد الذين يشرفون على توجيههم . ان في اللعب تأثيرا متبادلا بين الطفل وزميله ، بل بين الطفل والرائد المشرف . من هنا فنحن نقول ان على المربين ايضا ان يؤدوا عملية الاشراف او التربية بروح اللعب ، اي ان يلعبوا دورهــم القيادي بشغف وحرية وبلــذة وطمأنينة . لا بد ان يطوروا ادوارهم مع نمو الاطفال بما يناسب اعمارهم . وفي هذا النوع من اللعب هناك التناسق والتوافق فيما يختص بحركات الجسم ، او بتبادل الافكار او تعميق المشاعر ، او بخبرات متعددة لمواقف كثيرة هي الاساس في انماء الصداقات السوية والعلاقات الصحيحة التي تذيب فيما بعد الحدود الجامدة التي تقف عائقا دون تفاهم الاجيال . ربما يكون اللعب مقصودا لذاته في وقت

اللعب ولكن المهم ان تستمر الروح الرياضية العالية ، اثناء الدراسة والتحصيل ثم اثناء العمل والانتاج .
ان في اللعب ترويحا وتنفيسا ، ولكن الجدية فيه هي الالتزام بقواعد اللعبة .

ان الحرية هي العنصر الذي يصعب ممارسته ، اذ ليست هناك حرية مطلقة . هناك بالضرورة الحاجة لان نربي الناشىء لان يكون مواطنا صالحا .. وفي نفس الوقت لان ينمو في اتجاه الفردية المستقلة . ان للمواطنة شروطها وضروراتها ، كما ان لتنمية الفردية شروطها وضروراتها ... وهذان الهدفان يتعارضان ... ما لم تنسق بينهما التربية ... وعلى عاتق التربية يقع العبء ، وان تكون البداية ابان الطفولة متمثلة في تلك الالعاب التي يشترك فيها الاطفال في تمثيل الادوار الوطنية ، فيما يسمى **باللعب التمثيلي او المسرحي** . وفي هذا النوع هناك فرصة لتمثيل الرواية التاريخية . او الرواية المستمدة من التراث القومي او الوطني ، او الفرصة لوضع الحوار لقصة ادبية او دينية يشارك الاطفال في مناقشتها وتمثيل شخصياتها ، واثناء ادائهم يتدربون على اجادة اللغة ونطق مفرداتها نطقا سليما . كما يتعودون على ما يقتضيه التمثيل من حركات وسكنات وايماءات او من ارتفاع في درجة الصوت او انخفاض فيها الخ .

يعتقد « الفرد ادلر » — رائد علم النفس الفردي — ان اللعب هو اعداد للمستقبل ، وهو ما يتوافق مع الحقيقة النفسية التي اكتشفها عالم التربية كارل جروس فالعاب التقليد ، تتضمن اختيار الاطفال لادوار مختلفة يؤدونها (مثل ادوار الاب — الام — سائق القطار — الجندي — الطيار — ناظر المدرسة الخ) وفي هذه الادوار يتقمصون تلك الشخصيات ، ويعبرون ويتعلمون ويناقشون . فاللعب فهم للحياة الاجتماعية والاعداد للمراكز التي يطمح الابناء الى تقلدها في المستقبل . واللعب يفرق بين نوعيات الاطفال فمنهم من يشعر بالتفوق ومنهم من يشعر بالنقص . منهم الشجاع المشارك المتعاون ومنهم المرتاب والمتخوف والهارب من الحياة الاجتماعية . ومن هنا يجد المربون فرص التوجيه والتوعية .

ولما كان اللعب هو نوع من الطاقة الزائدة او الفائضة — على حد تعريف هربرت سبنسر ، فانه يتيح الفرصة للتنفيس عما يشعر به الطفل من ملل او من مشاعر سلبية او هموم . ومن هنا ايضا كان **اللعب الحر** الذي يترك للطفل حرية النشاط — في بيئة حانية مرحة يشعر فيها بالثقة الكاملة . مؤديا الى ان يعبر تعبيرات حرة عن احاسيسه التي تؤرقه ، فيعمل على اسقاطها على العوباته وعرائسه او خاماته واوراقه ورسومه . ولذلك يسمى هذا النوع من اللعب **باللعب العلاجي** (وهو المبني على اللعب الاسقاطي) .

من صور الحرية ، حرية الحركة الجسمية كما في **اللعب العضلي** — كالجري والقفز والتسلق والسباحة والانزلاق ، وما اليها وهي العاب فردية ، ويمكن ان تكون جماعية في حالات التسابق . وتتضمن هذه النوعية الالعاب المنظمة التي تحكمها قواعد وقوانين تتميز بها كل لعبة مثل كرة القدم ، والكرة الطائرة الخ ... وهي تعتبر الاساس في تكوين الروح الرياضية في المدارس والاندية والساحات الشعبية . واعرف ان هناك العديد من المؤسسات بل من الحكومات (لا سيما الغربية) التي تأخذ في الاعتبار عند تعيين موظفيها ، ان يكونوا من المشاركين في تلك الالعاب الجماعية ، او ان يتميزوا بهذه الروح الرياضية الى جانب المهارة او القدرة المطلوبة في العمل . ولذلك وجب ان تكون البداية ، منح هذه الحرية وتوجيهها منذ الصغر .

ولبعض الاطفال ولع باللعب اليدوي ويتضمن تناول الاشياء المختلفة من اجل كشفها ومعرفة دقائقها ... ويجب مراعاة هؤلاء الاطفال وتشجيعهم بتوفير ما يشبع هواياتهم وانمائها .

على ان اهم صورة من صور الحرية هي فيما يمثله اللعب **الانشائي او الابداعي** ، ويجب ان يعنى المربون باكتشاف هؤلاء الاطفال ، اي كشف ظاهرة الخلق والابداع والحاسة الفنية الابتكارية لديهم .

المهم ان يتحول اللعب الى طريق للتعلم ، وان تظل روح اللعب او الروح الرياضية ترافق المتعلم طوال الحياة .

واذا كانت للغرب مدارس تربوية ارتكزت على محور اللعب (كما عند منتسوري وفروبل) فاننا نأمل ان تتبلور الدراسات التربوية ، والمناهج التطبيقية في مصر ، وفي كل بلد عربي عن منهج يعنى بتطبيق اللعب من اجل التكامل ، تتميز به المدرسة العربية الحديثة .

مصر الجديدة **اميل توفيق**

يعلم الناس ان ندوة الادب العربي في الارجنتين — على خلاف المؤسسات التي تماثلها — ليس لها رئيس . ولعل هذا من الاسباب الرئيسية التي مدت حياتها . نعم ان سيادة المطران ملاتيوس صويتي هو عميدها ، الى حكمه نرجع في اختلافاتنا ، وعلى رأيه نعتمد في ازماتنا ، ومن غيرته نستمد سواء السبيل ، ولكنه ابعد من يكون عن الجلوس على قاعدة الرئاسة وتذكيرنا بأن الفضل عائد اليه في المركز الذي تحتله الهيئة التي تضمنا.

وليس المعنى مما سبق ان الندوة تتخبط في بحر صاخب من التشويش . في كل جلسة يختار الحاضرون عضوا يتولى ضبط المناقشات وتخويل الكلمة لمن يطلبها وصونها من الابتذال او التطويل ، ونحن نسمي العضو الذي نعينه « رئيسا » جريا مع العرف ومسايرة للاصطلاح .

قلت ان الامر في الندوة قصي عن الفوضى ، وليس هذا صحيحا كله ، فلا يكاد يعلن انتهاء الجلسة الرسمية حتى يحتل الاجتماع صهصليق من الاصوات المتباينة مطالبة بأن يتلو احدنا قصيدة من قصائده العديدة التي ينظمها بالجملة ويصبح « الشريد المريد » من يتفنن في الطلب فواحد يلح بأن تكون القصيدة غرامية حماسية ، وثان يصر على ان تكون اطول من شهر الصوم ، وثالث يلحف بأن ينشدها واقفا بدون حذاء ، ورابع يود منه التوقف عند كل بيت ، ولا غرو ان تهز الشاعر اعاصير الحيرة ، لان هذه الرغبات تتهاطل عليه كلها دفعة واحدة ، ولك ان تسمي العبارات التي تعلولي — وكلها تعلولي — اضطرابا لا محل له من الاعراب ، لك ان تسميها خروجا على مستحسنات اللياقة ، اما انا فلا ارى فيها الا النافذة التي ينقذف منها « الكبت » الذي ران اثناء المناقشات الرتيبة التي تستغرق ساعة على وجه التقريب .

وهذا الفصل لا بد منه في نهاية كل جلسة ، والمطالب لا تنهال رغبة في استذواق الشعر ، فليس من يصغي اليها متى بدات التلاوة . ومتى بدات التلاوة صاح الجميع او صاحت الاكثرية — في اخف الحالات — ان الوزن مكسور . وليس المهم ان تكون ابياتها صحيحة فهذا غير ذي شأن عندنا ، واكد الجميع او اكدت الاغلبية — في اضعف الاوضاع — ان معانيها مسروقة من شاعر آخر — هو المتنبي او صاحب المتمردات — لا فرق . درجة الشاعر المسروق كذلك لا تهم .

وتذكرني نهاية الجلسات في الندوة « بالفكاهات العائلية » .



ندوة الادب العربي في الارجنتين
رئيس لكل جلسة
بقلم الياس قنصل

لكل عائلة نوادر مخصوصة يرددها افرادها كل يوم سواء اكانوا وحدهم او كانت في بيوتهم زيارات . وهذه النوادر تكون عادة ، « بائخة تافهة » غير انها تثير ضحك قائليها او بكلمة اصح ضحك « مالكيها » لانها تغدو من اموال العائلة كالكراسي والموائد والطناجر والسكاكين وما اليها وتدخل في لوائح الارث التي ينالها الابناء والاحفاد .

نادرتنا او بالاحرى نادرة عائلتنا نحن ، هي هذه :



من نسيباتنا امراة نلصق فيها التخلف عن الحضارة الحديثة ، فان اكلت ابصرنا في طريقة اكلها ما يدعو الى السخرية وان لبست ثوبا جديدا لاحقناها بالهزل ، وان جلست عثرنا في جلستها على نبو عن المدنية .

وتنتهي المسألة بقولنا لها ، انها لو ذهبت الى اوغندا لهتف بها عيدي امين « اهلا وسهلا بأختي العزيزة ، لماذا اطلت الغياب علينا ؟ » .

ولا يلفظ احدنا هذه العبارة حتى ننفجر جميعا بالقهقهة . وما على القارىء ليدرك مقدار ما رددنا هذه النكتة الا ان يحسب: نحن نقولها ثلاث مرات كل يوم وقد مر على امتلاكنا اياها سبعة اعوام .

وجربنا هذه النادرة امام اصحابنا وزوارنا فلم يجدوا فيها الا الفهاهة مجسمة وزرنا هؤلاء في بيوتهم فاذا هم يملكون نوادر اسخف من نادرتنا تنبعث لها ضحكاتهم طويلا .

ما لنا ؟ — اننا نترك هذه الفلسفة لاربابها ونرجع الى الموضوع الاصيل : رئاسة الندوة :

في الاجتماع الذي عقد في الاسبوع الماضي وقع اختيار الحاضرين علي لأكون رئيسا للجلسة ، ومانعت ، اول اول ، ثم خفتت ممانعتي ازاء تلحح الحاضرين علي .

واعترف اني رضيت اعتبارا بأن ما اقوم به هو تضحية على عرفات هذه المؤسسة الادبية وتقديرا بأن رئاستي قصاص لذنب سابق ارتكبته دون ان ادري .

ولم اكن قبلها قبلت اية رئاسة ، واعلى وظيفة رضيت بها في جميع اللجان والجمعيات التي اسهمت فيها — وقد مضى على عملي اكثر من ثلاثين سنة — هي العضوية الاحتياطية البسيطة ، وما ذلك لان مقامي في الجالية من الهوان بحيث لا تسند الي المهام الخطيرة بل لاني افهم معنى الاستقلال الذاتي على غير ما يفهمه غيري ولاني اقيس الخدمة العامة بمقياس لا يتناوله سواي ،

ولاني ارى ان مهمتي في الهيئة الاجتماعية اعظم بكثير من ان تقتصر على شؤون صغيرة يقدر ان ينوب عني فيها اي مواطن مهما خلا دماغه من المادة الرمادية .

ورضيت بالتضحية — عفوا اردت ان اقول اني رضيت بالرئاسة على مضض .

وشخصت الي الانظار بالاحترام فقابلتها برنوة الشكر .

وامتدت الي الاصابع تطلب الاذن بالحديث ، فأبحته للبعض ومنعته عن البعض الآخر .

والغاية من تسجيل هذه الاسطر ليست توضيح الصلات بين الرئاسة والاعضاء بل جلاء شعور الرئاسة ازاء المرؤوسين .

لا اكتم القارىء اني تضايقت اول الامر فقد جرت العادة في الندوة ان تكون تبعة الرئيس ادارة الاحاديث فحسب ، فالكلام عليه ممنوع ، والاشتراك في النقاش محظور — خطة جرينا عليها ، عندما نريد عقاب اي عضو نختاره للرئاسة فيتحول — باذن ربك — الى صفر على اليسار ، ونتخلص من جداله ساعة او بعض ساعة .

وتقدمت مرة منذ زمان باقتراح مؤداه ان نتولى جميعا الرئاسة في كل جلسة فأدرك الحاضرون نيتي — وهم اذكياء خبثاء — فرفضوا .

ونعود الى موضوع رئاستي : فقد شعرت بعد ان توليتها بانقباض وضيق واوشكت ارجو من الحاضرين ان يعفوني منها على ان اتبرع للندوة — مقابل ذلك — بمبلغ لا بأس به من المال ، ولكن عبارة « يا حضرة الرئيس » التي كانت تنهال علي من كل صوب خففت من حدتي ثم بدات اجد فيها شيئا لا يمكنني تحديده ، ولا شك في ان كثيرين من الذين يترأسون الجمعيات لا يتمكنون من تحديده ، فان دعوته « غرورا » لم تخطىء . والغرور ككل فضيلة في الحياة — اجناس . والنوع المقبول منه هو ان تكون قيمتك مائة فتظن انك تساوي مائتين اما النوع الذي يفلق النفس فهو ان تكون قيمتك مائة فتظن انك تساوي مليونا . وكم من الناس على ما اصف وان كنا نحاول ان نعيدهم الى الصراط القويم بكل ما وهبنا الله من قساوة في الخلق وصلابة في التقريع وسلاطة في اللسان .

والى الموضوع من جديد :

واخذت احس بعد انقضاء بريهة على رئاستي بشكل من اللذة فالعيون كلها مسلطة علي ، والايدي ترتفع خجولة فان اذنت تكلم صاحبها وان تغاضيت عنه وتظاهرت بعدم الانتباه ظل صامتا .

ولم تنته تلك الجلسة حتى كانت خمرة الرئاسة قد اسكرتني بنشوتها .

وفي مكنتي الآن وقد فاتت على تلك الجلسة ايام — ان اعلن سرا خلاصته اني انا الذي جاهدت لاطيل تلك الجلسة ، فتمطى بذلك رئاستي ، فقد كاد الموضوع يكون منتهيا ، فأعود الى طرحه بلباقة على البحث فينفتح باب النقاش مجددا .

ورجعت الى بيتي امسية الرئاسة — وقد امست حياتي مقسومة الى قسمين من يوم مولدي الى يوم رئاستي ومن يوم رئاستي فما بعد — والدنيا لا تسعني من الفرح او من الكبرياء ، لا ادري وكل ما ادريه ان احلامي تلك الليلة كانت عبارة عن جلسة استمرت شهرا كاملا كنت انا رئيسها .

وادركت اذ ذاك الدواعي الجوهرية لاستقتال فريق من المواطنين على الرئاسة .

انهم على حق في فعلتهم ، فاللذة التي يشعر بها الرئيس وهو على منصة الرئاسة لا توازيها الا اللذة التي يشعر بها رئيس ثان وهو على منصة الرئاسة .

اني اعتذر اليكم ايها الاخوان الذين كنت الومهم ، اني اعتذر اليكم فقد كان من الواجب ان اجرب ما جربتم قبل ان الومكم .

ورحم الله المثل :

« ان الذي يأكل العصي ليس كالذي يعدها » .

وما دامت القضية قضية اعترافات ، فاني اسجل سرا آخر .

عندما بدأت اتمتع بسعادة الرئاسة اثناء الجلسة تولاني الخوف ، الخوف من ان يحدث علي انقلاب فأنزاح عن مركزي .

حدقت الى وجوه البعض من اخواني فلمحت نقمتهم في قسماتها وشهدتهم يعرورفون للتآمر علي فقابلتهم بالدهاء اذ ميزت من هم الذين يمكن ان اعتمد عليهم اذا جرى الانقلاب فرحت اسايرهم وامنحهم الاذن بالكلام فورا وان يكن ليس دورهم وقدرت انهم يكونون دعامة لي اذا اعصوصب الامر .

وكان ربك رحيما فقد تمكنت من الانتهاء على خير وسلامة .

الآن :

وبعد ان ذقت متعة الرئاسة امسى صعبا علي التنازل عنها ، فما العمل ؟ ومن نظامات الندوة ان الرئاسة لا تكون الا مناوبة بين الاعضاء ؟

انا فتى عنيد الى آخر حدود العناد ، وقد قررت ما يلي :

عندما يختارني اخواني للرئاسة في جلسة قادمة وعسى ان يكون ذلك قريبا فسأعلنها « دكتاتورية » على طول الخط ، وسأسعى لفصل كل من يقف في وجهي من الاعضاء ولن ابقي فيها الا الموالين لي .

ولي اسوة بالامارين الذين استغلوا تساهل بلدانهم وطيبة قلوبها وسأتخذ الاحتياطات اللازمة لكي لا يصيبني مصيرهم .

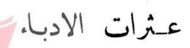
على اني ارجو القارىء الكريم ان لا يطلع احدا من اعضاء الندوة على تصميمي لئلا تنفضح نيتي فيتغدوني قبل ان اتعشاهم .

وعلى الله الاتكال ، والى رئاسة قادمة دائمة .

الياس قنصل **بوانس ايرس**



محمد العدناني



عثرات الادباء

بقلم محمد العدناني

* * *

الجوقــة

ويظنون ان اطلاق اسم الجوقة (بفتح فسكون) علــى مجموعة من الناس يشتركون في تمثيل او غناء ، هو من اقوال العامة .

ولكــن :

جاء في المجلد الرابع عشر من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ، التي اقرتها لجنة الفاظ الحضارة « الفاظ الفنون » ، بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ووافق عليها مؤتمر المجمع في جلسته الثانية عشرة ، بتاريخ ٢٠ شباط (فبراير) ١٩٧٢ ، في المادة رقم ١٠ ، ان المؤتمر اطلق على تلك المجموعة مــن الناس اسم : الجوقة (بفتح فسكون) .

وكان قد جاء في متن اللغة : الجوق (بفتح فسكون) : كل خليط من الرعاء امرهم واحد : الجماعة من الناس ، وهي الجوقة « وقيل هي دخيلة او معربة » . ثم استعملت في الجماعة الواحدة لمسارح الغناء ، والتمثيل المسرحي ، وغير ذلك .

وعندما ظهرت الطبعة الثانية من المعجم الوسيط ، عام ١٩٧٢ ، جاء فيها : « الجوق والجوقة : الجماعة من الناس . وكل خليط من الرعاء امرهم واحد . الجمع : اجواق وجوقات » .

جال في البلاد لا تجول فيها

ينقل دوزي عن رحلة ابن جبير قوله : « تجول (بفتح ففتح فتضعيف) في البلاد » . و « فصار بأرض الجوف وتجول في ارض البرابر هناك » و « برسم التجول عليها ، والنظر في مصالحها » .

وابن جبير الرحالة الاندلسي ، المتوفي سنة ٦١٤ هـ ليس مرجعا لغويا ، ويقال انه لم يصنف كتاب « رحلته » ، وانما قيــد معاني مــا تضمنته ، فتولى ترتيبها بعض الآخذين عنه .

ولم اجد في المعجمات من ذكر الفعل (تجول) ، ولكنهم ذكروا الفعل (جال) : كالصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والاساس ، والنهاية ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وجاء في الحديث : « لما جالت الخيل اهوى الــى عنقي » .

ويجوز ان نقول ايضا : (١) جول (بتضعيف الواو) البلاد وفيها تجويلا وتجوالا .

(٢) انجال في البلاد .

(٣) اجتال في البلاد .

وجميعها تعني : طوف فيها كثيرا . اما فعله فهو : جال يجول جولا (بفتح الجيم وضمها) ، وجولانا (بفتح ففتح) ، وجؤولا (بضم فضم) ، وجيلانا (بفتح فسكون) ، وجيلالا (بكسر الجيم) .

طفحت جام غضبه

ويقولون : طفح جام غضبه (الجام : اناء للشراب والطعام من فضة ونحوها) . والصواب : طفحت جام غضبه ، لان الجام مؤنثة كمــا يقول ابن سيده ، وابن بري ، واللســان ، والتاج ، والمد ، والمتن ، والوسيط .

وقال اللسان ، والتاج ، والمتن ان (الجام) كلمة عربية صحيحة . وقال الوسيط انها معربة . وقال المد : يقول بعضهم انها فارسية الاصل ، والبعض الآخر يقول انها عربية صحيحة .

وذكر المطرزي في المغرب ان الجام طبق ابيض من زجاج او فضة ، ويشهد على ذلك ما انشده ابو بكر الخوارزمي لعضد الدولة بن بويه الديلمي :

كانها ، وهي على جامها لآلىء في جام كافور

وتجمع الجام على : جامات ، واجوام ، وجوم (بضم الجيم) ، وجوم (بفتح فسكون) ، وأجؤم . وتصغيرها : جويمة (بضم ففتح فسكون) .

ويقول ابن بري : الجام : مؤنثة ، وهي جمع : جامة ، وجمعها جامات ، وتصغيرها : جويمة .

الجون (الاسود والابيض ، والظلمة والنور)

ويخطئون من يقول ان الجون (بفتح فسكون) هو الابيض . ويقولون : الجون هو الاسود . والحقيقة هي ان الجون كلمة من الاضداد ، تعني : الاسود والابيض ، والظلمة والنور . وشاهد الجون الابيض قول الشاعر :

فبتنا نعيد المشرفية فيهم ونبدىء حتى أصبح الجون أسودا

وشاهد الجون الاسود قول الشاعر :

تقول خليلتي لما رأتني شريحا بين مبيض وجون

وذكر ان الجون يعني الاسود والابيض كل من ابن قتيبة ، وابن الانباري ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، وفقه اللغة للثعالبي ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج (اضاف الى الاسود والابيض اللون الاحمر الخالص) ، والمد ، ومحيط المحيط (اضاف اللون الاحمر والنهار) ، والمتن (اضاف الظلمة « مجاز » والضوء « مجاز ») ، والتضاد ، والوسيط (اضاف الظلمة والضوء) .

وجاء في النهاية : (أ) (في حديث أنس رضي الله عنه « جئت الى النبي (صلى الله عليه وسلم) وعليه بردة جونية (بفتح فسكون فياء مضعفة) » منسوبة الى الجون ، وهو من الالوان ، ويقع على الابيض والاسود) .

(ب) (ومنه حديث عمر رضي الله عنه : « لما قدم الشام اقبل على جمل ، وعليه جلد كبش جوني (بضم الجيم) » . اي اسود . قال الخطابي : الكبش الجوني : هو الاسود الذي اشرب حمرة . فاذا نسبوا قالوا جوني بالضم ، كما قالوا في الدهري (بفتح الدال) دهري (بضم الدال) . وفي هذا نظر ، الا ان تكون الرواية كذلك) .

(ج) (وفي حديث الحجاج « وعرضت عليه درع تكاد لا ترى لصفائها ، فقال له انيس (بضم ففتح فسكون) : ان الشمس جونة (بفتح فسكون) » . اي بيضاء قد غلبت صفاء الدرع) .

وقال ابن دريد ان الجون (بفتح فسكون) يكون الاحمر ايضا . وقال ابن سيده : الجونة (بفتح فسكون) : الشمس لاسودادها اذا غابت ، وقد يكون لبياضها وصفائها .

واكتفى الاساس بقوله : شيء جون (بفتح فسكون) : اسود فيه حمرة .

وانا أنصح بالاكتفاء باستعمال كلمة الجون (بفتح فسكون) للون الاسود والظلمة ، واجتناب المعنيين الآخرين .

الجواهر لا المجوهرات

ويقولون : اضاعت السيدة مجوهراتها في السوق . والصواب : اضاعت السيدة جواهرها ، لانني لم اجد في المعجمات التي لدي من ذكر كلمة المجوهرات .

عبير طويلة الجيد او طويلة الاجياد

ويخطئون من يقول : عبير طويلة الاجياد ، لان للناس جيدا (بكسر الجيم) واحدا . والجيد هو العنق . ولكن :

روى ابن السكيت ، والسيوطي في المزهر عن الاصمعي ، وابن فارس في معجم مقاييس اللغة ان الجيد ورد بصيغة الجمع ، فقيل : عبير طويلة الاجياد ، مع ان الانسان ليس له سوى جيد واحد .

وانا — لغويا — لا استطيع تخطئة من يقول : هي طويلة الاجياد ، بدلا من الجيد ، ولكنني استطيع ان اوصي الأدباء باهمال استعمال هذا الجمع في النثر ، بدلا من المفرد ، لان في استعمال الجمع خطأ علميا ، يبعدنا عن الحقيقة ، دون ان يوجد مسوغ لغوي لذلك .

اما الشعراء ففي وسعهم ان يقولوا : هي طويلة الاجياد ، عندما تفرض عليهم ذلك الضرورة الشعرية ، اقامة لوزن ، او مراعاة لقافية ، وان كان هذا يجعل البيت الذي ترد فيه كلمة الاجياد ، بدلا من الجيد ، ركيكا .

الجيلاني

جاء في « عثرات الاقلام في اللغة » للشيخ عبد القادر المغربي : « الجيلاني (بكسر الجيم) نسبة الى بلاد جيلان (بكسر الجيم) ، ويقال لها كيلان (بكسر الكاف) ايضا . والناس يفتحون أولها خطأ » .

وأعلام الزركلي ، ومعجم المؤلفين لكحاله يؤيدان راي المغربي . ويؤيده ايضا معجم البلدان الذي يقول ان جيلان (بكسر الجيم) اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان . والنسبة اليها : جيلاني وجيلي ، والعجم يقولون : كيلان .

ولكــن :

يقول معجم البلدان ان هنالك ما يسمى ب (جيلان) بفتح الجيم ، وهم قوم من ابناء فارس انتقلوا من نواحي اصطخر ، فنزلوا بطرف من البحرين ، فغرسوا وزرعوا وحفروا واقاموا هناك ، فنزل عليهم قوم من بني عجل فدخلوا فيهم . قال امرؤ القيس :

أطافت بــه جيلان عند قطافه وردت عليــه الماء حتى تحيرا

(جيلان : بفتح الجيم) .

وقال المرقش الاصغر ، ربيعة بن سفيان :

وما قهوة صهباء ، كالمسك ريحها تعل على الناجود طورا وتقدح
سباها تجار من يهود تواعدوا بجيلان ، يدنيها الى الشوق مربح
باطيب من فيها ، اذا جئت طارقا من الليل ، بل فوها الذ وانصح

(جيلان : بفتح الجيم) .

فمن كان ينتسب الى هؤلاء القوم جيلان (بفتح الجيم) ، قلنا انه جيلاني ، ولكن يبدو ان من عرفناهم من مشاهير الاعلام ينتسبون الى جيلان (بكسر الجيم) الواقعة وراء بلاد طبرستان .

الخبرة ، الخبر ، المخبرة

ويخطئون من يقول : له خبرة (بضم فسكون) في فحص الدم ، اي : معرفة به وعلم بكنهه . ويقولون ان الصواب هو الخبرة (بكسر فسكون) ، اعتمادا على الصحاح ، والاساس ، والمختار ، والمصباح .

ولكــن :

اجاز الراغب الاصفهاني قول الخبرة (بضم فسكون) ، واجاز الخبرة (بكسر الخاء وضمها) كل من اللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، والوسيط .

واجاز الخبر (بضم فسكون) كل من معجم الفاظ القرآن الكريــم ، والصحاح ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، والوسيط .

واجاز الخبر (بفتح فسكون) المد والوسيط .

واجاز الخبر (بكسر الخاء وضمها) والمخبرة (بفتح فسكون ففتح) والمخبرة (بفتح فسكون فضم) كل مــن اللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، والوسيط (نسي الوسيط ذكر المخبرة (بضم الباء)) . قال ابو الطيب المتنبي :

وما زلت حتى قادني الشوق نحوه يسايرني في كل ركب له ذكر
واستكبر الاخبار قبــل لقائــه فلما التقينا صغر الخبر الخبر

(بضم فسكون) .

اما حركات فعله ومصادره فهي كما جاء في المد : خبر (بفتح فضم) الامر بالامر يخبره (بضم الباء) خبورا (بضم الخاء) . وخبره (بفتح الباء) يخبره (بضم الباء) خبرا (بفتح فسكون) . وخبره (بكسر الباء) يخبره (بضمها) خبرا (بضم فسكون) وخبرة (بكسر فسكون) : اختبره .

والخبر (بضم فسكون) ، والخبر (بكسر فسكون) ، والخبر (بفتح فسكون) ، والخبر (بفتح ففتح) ، والخبرة (بضم فسكون) ، والمخبرة (بفتح الميم والباء) ، والمخبرة (بفتح الميم وضم الباء) : العلم بالشيء .

واكتفى اللسان بقوله : خبره (بفتح ففتح) يخبره (بضم الباء) خبرا (بضم فسكون) ، وخبرا (بكسر فسكون) ، وخبرة (بضم فسكون) ، وخبرة (بكسر فسكون) ، ومخبرة (بفتح الميم والباء) ، ومخبرة (بفتح الميم وضم الباء) .

أخبره النبأ ، أخبره بالنبأ

ويخطئون من يقول : اخبره النبأ ، ويقولون ان الصواب هو : اخبره بالنبأ ، اعتمادا على ما جاء في الصحاح ، والمختار ، والمصباح ، والوسيط .

ولكــن :

اجاز الجملتين (اخبره النبأ) و (اخبره بالنبأ) كلتيهما كل من اللسان ، والتاج ، والمد (اجاز ايضا : اخبره عن النبأ) ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد .

واكتفى القاموس ومحيط المحيط بذكر : اخبره النبأ . واجمعا مع اللسان ، والتاج ، والمد ، واقرب الموارد على الاستشهاد بجملة (اخبره خبوره (بضم الخاء) ، اي : انبأه ما عنده) .

واجاز محيط المحيط واقرب الموارد لنا ان نقول : خبره (بفتح فتضعيف) النبأ ، وخبره بالنبأ . واكتفى الوسيط بقوله : خبره (بفتح فتضعيف) بكذا : لذا قل :

(أ) اخبره النبأ . (ب) اخبره بالنبأ . (ج) خبره (بفتح فتضعيف) النبأ . (د) خبره بالنبأ .

الختام ، الخاتم ، الختم

ويخطئون من يطلقون على ما يختم به اسم الختم (بفتح فسكون) ، ويقولون ان الصواب هو : الختام (بكسر الخاء) (وهو الطين او الشمع الذي يختم به) ، اعتمادا على ما جاء في الآية ٢٦ من سورة المطففين ، وعلى ما جاء في معجم الفــاظ القرآن الكريم ، وجامــع الكرماني ، والازهري ، والصحاح ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ،

توبي لربك

ذوت الطهارة ، من يعيد ... للورد رونقه الفريد
أو من لبيب في الورى ... يحمي الفضيلة أو رشيد
رقص المجون على الخدود ... ونام ما بين النهود
ما الورد يبعث نشره ... فابك البنفسج والورود
أين الفضيلة من حلى ... عقدت على صدر وجيد
حتى غدت معبودة ... بعيون شبان وغيد
يا بنت أكرم والد ... خنت الفضيلة والعهود
وغدوت أرخص سلعة ... بيعت بأسواق العبيد
توبي لربك والبسي ... ثوب الطهارة من جديد
وتتبعي سنن الهدى ... والفضل والرأي السديد
ان الحياة قصيرة ... والموت يكمن في الوريد
جشع فلا يبقي على ... ملك ولا قرم عنيد
ووراءه ابدية ... للفسق مسعرة الوقود
عودي لربك واضرعي ... والله يقبل من يريد

بكاسين — لبنان ... جرجي نصر

والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وقد ذكر المتن ان مجمع مصر اطلق اسم الختام (بكسر الخاء) على الشمع الاحمر المعروف للختم في الجدول رقم ١١٥ . ولكن : قال ابن الفارض :

ولو نظر الندمان ختم انائها لأسكرهم من دونها ذلك الختم

(بفتح الخاء) .

وذكر ايضا ان الختم (بفتح فسكون) هو كل ما يختم به محيط المحيط واقرب الموارد ، اي الاداة التي توضع على الشمع او الطين .

وهنالك اسمان لما يوضع على الشمع او الطين ، تذكرهما المعجمات اكثر من الختم ، هما :

(١) الخاتم (بفتح التاء) : معجم الفاظ القرآن الكريم ، ومعجم مقاييس اللغة ، ومجاز الاساس ، والنهاية ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن .

(٢) والخاتم (بكسر التاء) : الازهري ، والتلخيص لأبي هلال العسكري ، ومجاز الاساس ، والنهاية ، واللسان ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن .

المخدع

ويخطئون من يقول : المخدع (بكسر فسكون) ، ويقولون ان الصواب هو المخدع (بضمها) ، ومعناه الحجرة في البيت . والحقيقة هي اننا نستطيع ان نقول : المخدع (بضم الميم وكسرها وفتحها) .

وقد اجاز استعمال المخدع (بضم الميم وكسرها) : الفراء ، والازهري ، والصحاح ، والنهاية ، والعباب ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، وتذكرة علي راتب ، والوسيط .

وقال الفراء : استثقلت العرب الضمة في مخدع فكسرت ميمه ، واصله بالضم .

ويجيزون المخدع (بفتح فسكون) ايضا ، وقد اكتفى الراغب الاصفهاني بذكره في مفرداته ، وقال اللسان انه لغة ، بينما قال المتن انه افصحها .

ويجمع المخدع على : مخادع .

بيروت : شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني ، رقم ٣

محمد العدناني

الشهداء

عبد الغني العريسي والامير عارف الشهابي وتوفيق البساط وعمر حمد

من مداين صالح الى عاليه ١٩١٦

بقلم عجاج نويهض

* * *



الكلمة التي تفضلت مجلتنا الحبيبة « الاديب » بنشرها في عدد يوليو ١٩٧٨ حول الكتاب النفيس « جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين » لسيدة الكاتبات عنبرة سلام الخالدي ، ذكر عاطر لفريق من الشهداء ، في طليعتهم عبد الغني العريسي وعارف الشهابي وعمر حمد رحمهم الله . ومن طبائع البحث عندنا في موضوعات الشهادة والشهداء في سبيل الوطن والامة ، ان ننظر الى كل ما يتعلق بشهداء سنتي ١٩١٥ و ١٩١٦ على يد القائد الطوراني احمد جمال السفاح نظرا لمنزلة التقديس ، ونحن على حق مطلق في هذا ، لان الامة التي لا يكون ذكرى شهدائها طراز عمامتها ووشي عصابتها ، حري بها الا تلز في مصاف الامم المستولية على الحضارة في هذا العصر الذي اصبح الانسان العربي فيه امام خيارين : فاما ان يكمل عدته لخوض المعمعان هو واهله جميعا ، واخوه وجاره ، واما ان ينقلب مخلوقا بشريا فسيولوجيا معدته في وسطه وهي عاصمته ، بدلا من قوى عقله ومداركه في دماغه ورأسه . ونعوذ بالله من ان يجعل احدا من العرب من هذا الفريق الثاني .

فكانت اشارة منا في حاشية تلك الصفحة الى هؤلاء الشهداء الابرار ، اننا سنستعين بالله في عرض ما لدينا من خبرهم المتعلق بكيفية القاء القبض عليهم في « مداين صالح » على سكة حديد الحجاز ، وقد تضاربت الرواية في ذلك ، ليعلم قصتهم اهل لبنان والحمى القريب ، بل الجيل العربي طرا في الخافقين على اجنحة مجلتنا « الاديب » الغراء . ومدار كلامنا الآن في هذا المقال فرار الجماعة تغمدهم الله برضوانه الى « جبل العرب » اولا ، ثم الى « حايل » عاصمة ابن الرشيد في شمالي نجد ، بعد ان اجتازوا في الرحيل مسافة طويلة من جبل العرب فالازرق جنوبا ، فوادي السرحان وبعده « سكاكه » و « الجوف » وهذه كلها منازل عرب الرولى .

فلما وصلوا حايل في ديار شمر وحلوا ضيوفا على ابن الرشيد ، اكرمهم غاية الاكرام كما سيجيء ، ثم توجهوا غربا الى سكة حديد الحجاز حتى وصلوا الى محطة « قلعة المعظم » فركبوا القطار الى « مداين صالح » ، وهنا قضت مشيئة الله ان يقع المحذور ، ولله الامر من قبل ومن بعد .

تمكنت في اثناء مقامي في الاردن من ١٩٤٨ — ١٩٥٩ من الوقوف على اخبار عدد كبير من الرعيل الاول ومنهم هؤلاء الشهداء الابرار من عدة مصادر كلها ثقة ، ولكن المصدرين الينبوعين هما الامير فايز الشهابي وعبد الرحمن الرشيدات وكلاهما من سروات العرب ، وكلاهما اخ حبيب للشهداء . اما الشهابي فبعد تخرجه من الآستانة مع زملائه واقرانه رجال الرعيل ، عمل في الادارة العثمانية ولما دخل فيصل بن الحسين دمشق خريف ١٩١٨ وانشئت « الحكومة العربية » عمل فيها الشهابي وكان عنصرا بارزا في ثورة الشيخ صالح العلي مقاوما الفرنسيين ثم جاء الاردن وعمل فيه موظفا شديد العلاقة بالبادية وكانت وفاته سنة ١٩٥٧ رحمه الله . وكانت له ذاكرة قوية وهو واسع الاطلاع على التاريخ العربي . واما الرشيدات فمن خريجي الآستانة ومن رجالات الرعيل وكان عضو المؤتمر العربي السوري في دمشق ١٩١٩ — ١٩٢٠ ممثلا اربد وعجلون . وشغل اعمالا حكومية عديدة في الاردن ، وكان لسنوات عديدة عضوا او عينا في مجلس الاعيان الاردني . وكما كان الشهابي يشغل « مدير ناحية » في « جبل العرب » اواخر ١٩١٥ كذلك الرشيدات فانه « مدير ناحية » وادي موسى يوم وصل الشهداء الى مداين صالح واخذوا بالشبهة واعتقلوا ، فجاء « معان » مركز المتصرفية التابع لها وادي موسى ليسعى في امرهم فكان قد سبق السيف العذل . الشهابي من حاصبيا والرشيدات من اربد .

اما الشهيد عمر حمد فانه عند الامير فايز احد الاربعة لجأوا الى « جبل العرب » واما عند الرشيدات فليس مذكورا في عداد الاربعة ولعل عدم ذكره عند الرشيدات كان نسيانا او ان عمر حمد لم يذهب الى حايل ، كما سترى في المساق . وعلى كل فان الامر يتضح بمقارنة كلامنا مع كلام غيرنا في هذا الموضوع .

سمعت من الامير فايز الشهابي الحديث ، وكنت ادونه فورا في جلسة الاستماع في عمان سنة ١٩٥٣ ، قال :

« اتفق او اجتمع عبد الغني العريسي والامير عارف

الشهابي ، وعمر حمد وتوفيق البساط وفروا الى جبل العرب اواخر ١٩١٥ واختبأوا في الجبل متنقلين بحذر .
وفي احدى المرات لما كانوا في قرية « حبران » جاءت قوة من الدرك بقيادة زكي قدري (اخي احمد قدري وتحسين قدري) بصفته قائمقام « السويداء » وكبست القوة قرية « العفينة » . ولما كانت « حبران » على مقربة من « العفينة » فقد علم الشهداء بهذا ففروا الى « سهوة الخضر » — تابعة لقضاء السويداء — ومنها ذهبوا الى قرية « سالا » في « المقرن الشرقي » وصاروا يتنقلون في قرى هذا المقرن . ومكثوا على هذا نحو شهرين ، وكانوا كلما اتاهم خبر بكبسة انتقلوا الى قرية اخرى ، وهكذا دواليك ، حتى اتوا قرية (بهم) « بفتح الباء والهاء » في المقرن الشرقي ايضا ، وهذه تابعة لناحية (ملح) « بفتح الميم واللام » وكنت انا مدير هذه الناحية ومرجعي مركز « امتان » وقد حضرت الى امتان قوة كبيرة من الدرك بقيادة شعبان جاويش وهو كردي ، فأدركت ان المقصود كبسهم وكان عندي خادم من بني معروف حاصبيا اسمه محمود خالد فأرسلته فورا الى « علي بن فارس صياغة » وهو من اهالي امتان واهله من حاصبيا واعلمته سرا ان يعلم الجماعة بمجيء الكبسة ، ففروا الى قرية « طليلين » في المقرن الشرقي وهي جنب « بهم » ، ولما وقعت الكبسة على « بهم » لم يجدوا احدا ، اذ كان الشهداء قد برحوها قبل هنيهة لا تزيد على عشر دقائق والكبسة وقعت قبيل الظهر ، ولولا قلة خبرة القوة بالطريق التي سلكوها الى « بهم » لكانت القوة وصلت الى هناك والقت القبض عليهم .

حينئذ وجد الشهداء ان لم يبق لهم مجال آمن في الجبل ، مع كل حرص الاهالي على ايوائهم والمحافظة عليهم ضيوفا مكرمين ، فقرروا الانتقال الى الجنوب جهة الحجاز بدلالة غالب بن فواز شيخ عرب السردية . وعلمت بعدئذ — يقول الامير فايز — انهم وصلوا عند شهاب الفقير شيخ « عشيرة الفقراء » في جهة تبوك . وشيخ السردية هو الذي هيأ لهم الزاد والرواحل ، والمسافة التي اجتازوها من جبل العرب الى منازل الفقراء عند تبوك لا تقطع بأقل من عشرين الى خمسة وعشرين يوما . والشيخ سعود بن فواز لا يزال حيا الى اليوم (١٩٥٣) وهو شيخ السردية ويأتي عمان احيانا وهو تابع لسوريا وكان عضوا في مجلس النواب السوري في عهد « شكري القوتلي » انتهى كلام الامير فايز .

اما عبد الرحمن الرشيدات ، وكان مدير ناحية « وادي موسى » فيقول :

« فر الشهداء عبد الغني العريسي والامير عارف الشهابي وتوفيق البساط من دمشق الى جبل العرب وبقوا هناك مدة ثم ذهبوا الى الجنوب في البادية حتى وصلوا « سكاكة » ، بعد آخر وادي السرحان شرقا وبقرب « سكاكة » يقع « الجوف » ، وكل هذا في البادية التي يسيطر عليها عرب الرولى .

ومن سكاكة ، حلوا جنوبا الى حايل عاصمة ابن الرشيد وقتئذ في ديار شمر « جبل آجا قديما » ومن حايل ذهبوا غربا قاصدين سكة حديد الحجاز حتى وصلوا محطة « قلعة المعظم » فركبوا القطار الى محطة « مداين صالح » وفي مداين صالح اشتبهوا بهم وهم بلباس بدو فقبضوا عليهم .

وشوهدوا وهم موتوفون يرتدون البسة بدوية على شكل واحد ، واحذيتهم « لميع » كأحذية اهل المدن ، واطلقوا لحاهم ، وكان للامير عارف الشهابي سن ذهب (قلت : في رواية اخرى ان سن الذهب هذا كان لعبد الغني العريسي واهل الشهيدين عندهم الخبر اليقين من حيث السن) .

اما ابن الرشيد فعاملهم معاملة حسنة ، واعطاهم مالا وارفقهم بدليل عندما تركوا حايل ووجهتهم المدينة المنورة ، بعد ان مكثوا عنده نحو شهر ضيوفا اعزة . ولما وصلوا قلعة المعظم ، وهي قبل مداين صالح ، ركبوا القطار الى مداين صالح ونزلوا في مؤخر المحطة متظاهرين بأنهم بدو ، وذهبوا الى « الكنتين » فاشتروا طعاما اذ هذا « الكنتين » يبيع الطعام للموظفين وعند الحاجة للاهالي ايضا » .

رآهم هناك ، وربما عند الكنتين ، الدكتور احمد الميداني من الشام وهو رجل طيب وصديق عارف الشهابي . ولكن الميداني لم يعرف هوية هؤلاء الثلاثة غير انه لاحظ انهم ليسوا ببدو ، كما لاحظ سن الذهب والاحذية واللباس . فظن ان من الممكن ان يكونوا جواسيس مصريين من قبل الانكليز . وبعد ان تركهم ومضى لشأنه رأى مدير الناحية وهذا تركي فأبدى له شبهته ، فانتبه المدير الى هذا ، اذ كانت عند الموظفين الاتراك اوامر سرية من احمد جمال باشا بالمراقبة والقاء القبض وهذه الاوامر كانت موجهة الى جميع الانحاء .

ثم جاء رجل من معان ، جندي ، واخبر المدير ان احد الثلاثة هو الامير عارف الشهابي ، اذ يعرفه شخصيا لما كان الامير عارف في معان يعمل وكيل قائمقام ، فألقي القبض على الثلاثة .

الدكتور احمد الميداني صديق الشهابي ، ولو كان يدري انه هو لكان بوسعه ان يخفي الثلاثة في المحطة دون ان يكتشف امرهم البتة ، ولكن لم يقدر ان يتصور من يكونون على الحقيقة ، مع ميله الى الظن انهم قد يكونون جواسيس من مصر ، ولذلك قال ما قال لمدير الناحية التركي بكل حسن نية . اما المدير فأبرق الى المتصرف في الكرك واسمه « آصف بك » .

كان عبد الرحمن الرشيدات مدير ناحية في وادي موسى ، والآن ما ابعد وادي موسى عن مداين صالح ! ولكن وادي موسى تابعة اداريا لمعان ، فجاءه البريد الرسمي من معان ، واعلمه « المراسل » ناقل البريد بقصة الشهابي الامير عارف ورفيقيه وقد اصبحوا في معان في طريق ارسالهم الى دمشق والامير عارف الشهابي صديق حميم للرشيدات اذ هما رفقة طلب في دمشق على مقعد واحد عدة سنوات فصمم الرشيدات على ان يصنع شيئا اذا امكن لتخليص صديقه ورفيقيه . وهاله الامر . وعلم ما وراء هذا من خطر . فجاء معان ، مركز « المتصرفية » وسيرى حينئذ كيف الله يفتح عليه سبيل العمل في الحلقة المفرغة — هذا اذا كان ما اخبره به المراسل صحيحا .

فجاء معان ، وفي الظاهر لملاحقة شؤون رسمية تتعلق بوظيفته وفي الحقيقة لكي يسعى سعيه الخفي من وراء ستار اذا امكن .

فأتى دار الحكومة فوجد « المتصرف » في الديوان في الطابق العالي وعنده الامير عارف الشهابي ولا غيرهما احد ، واما عبد الغني العريسي وتوفيق البساط فمحجوزان في الطابق السفلي . فلم يدخل على المتصرف وانما جعل يتمشى في الشقة التي خارج الديوان ، والشباك مفتوح وبوسعه اذا احسن التنصت ، امكنه استراق الحديث الدائر بين المتصرف والامير عارف الشهابي . فاستطاع ان يسمع ما كان يقوله المتصرف للامير عارف من انه (المتصرف) يعرفه تلميذا في الآستانة ، ويمدح اخلاقه وفضله ويسأله عن الغاية السياسية التي يسعى اليها . كل هذا بأسلوب ناعم رقيق . واستطاع عبد الرحمن ان يسمع استراقا اجوبة الامير عارف ، وصفوتها ان كل شعب يبتغي الحرية والكرامة والرقي ، وهو يريد هذا لبلاده لا اكثر لتنطلق في مدارج العمران الحقيقي . قال عبد الرحمن ان كل هذه الاجوبة من الامير عارف كانت صادرة عن نفس ابية رصينة قوية الايمان بقضية بلادها . ولا شيء من الخوف او الخشية عند الشهابي .

فمضى وقت على عبد الرحمن وهو على حاله هذا من التمشي حتى لاحت التفاتة من المتصرف من خلال الشباك فوقع نظره عليه فسأله من انت فأجاب انا مدير ناحية وادي موسى اتيت للمراجعة الرسمية بأمور فأجابه المتصرف ، وقد وقع في نفسه الريب ، يستحسن الا تقف هنا في هذا المكان . فانصرف عبد الرحمن دون ان يستطيع ان يصنع شيئا مما كان في نفسه نحو الشهداء .

ويقول عبد الرحمن في النهاية : اما من حيث الزي وعدم اتقان التخفي فهناك ملاحظات :

اولا — التظاهر بأنهم بدو وهذا يتناقض مع هيآتهم .

ثانيا — كانت البستهم بدوية في الظاهر ، حضرية في اشياء اخرى .

ثالثا — كان مع كل منهم دفتر وقلم كدفتر الآخر وقلمه وكانوا يقيدون في هذه الدفاتر ملاحظاتهم في رحلاتهم والمشاهد التي تروق لهم مع بعض الاشعار والاخبار . وضبطت هذه الدفاتر معهم .

اخبرني صديقي المربي صاحب الجغرافيا المشهورة سعيد الصباغ رحمه الله ، وهو صديق توفيق البساط وابن بلده صيدا ، كما هو في الوقت نفسه صديق الآخرين من العريسي والشهابي وعمر حمد ، ولكن الصداقة التي بينه وبين البساط عميقة الجذور ، ان هؤلاء الشهداء الابرار بعد القبض عليهم بقوا نحو شهر في القلعة ، وذهب الصباغ الى احمد قدري يبتغي ان يعلم منه أمن سبيل لكي يواجه البساط ، فنصحه احمد بأن يقلع عن هذه الرغبة لاستحالة تحقيقها .

وقال لي الصباغ في عمان سنة ١٩٥٥ انه كان في شهر آذار ١٩١٦ ذاهبا من دمشق بالقطار الى بيروت فصيدا ، واذ يقع نظره فجأة مذهلة لم ينسها في حياته ، على الشهداء الاربعة وهم جنب بعضهم بعضا في محطة البرامكة مصفدي الايدي وبسرعة اوتوماتيكية انخطف الى توفيق البساط يقبله . ورآهم هكذا ، اما توفيق البساط فمتلفع بعباءة سوداء تناثرت اكمامها ، واما الباقون فجميع ما عليهم من لباس امسى لباسا للوقاية لا اكثر ، ولكنهم الاربعة متى ابصرت عيونهم ابصرت اسودا مكبلة بالحديد ، وروح البطولة تغمر حركاتهم وسكناتهم . وتبادلت النظرات معهم وادركت انهم يعلمون الى اين هم ذاهبون . وتوفيق البساط اوصى الصباغ بأن يطمئن والديه في صيدا واما عمر حمد — يقول الصباغ — فراح يمزح معي على الطائر ! وكل هذا في دقائق ثم غابوا عن بصري وكان هذا آخر العهد بهم .

من ذكر عمر حمد هنا ، نرجح ان عدم ذكره عند عبد الرحمن الرشيدات كان ضربا من النسيان ، لا اكثر ، كما نعتقد . فالامير فايز الشهابي ذكرهم اربعة في جبل العرب ، والآن يذكرهم الصباغ اربعة وقد القي القبض عليهم في مداين صالح ، وفوق كل ذي علم عليم .

اخبار محاكمات الشهداء في عاليه في المجلس العسكري الذي يطلق عليه المجلس العرفي ، تؤلف كتابا برأسه في وصف ما بدا من كثير منهم من قوة بشرية فائقة في رباطة الجأش ، ومتانة الاستمساك والاعتصام بأسرار الحركة . ونعتقد ان هذه المناحي المهمة في تراجم شهدائنا سنتي ١٩١٥ و ١٩١٦ لم تزل غير مدونة الا قليلا منها في ذلك الكتاب الصغير القيم « مؤتمر الشهداء » .

اخبرني عبد الغفار السندروسي وسعيد الصباغ رحمهما الله ، ان توفيق البساط بقي يتجرع فنون التعذيب ثلاثة ايام بلياليها دون ان يحرك لسانه بحرف واحد جوابا

عما كانوا يسألونه عنه ، فعمدوا اخيرا الى طريقة مطاولة الاستنطاق له وهو واقف الساعات الطوال لعل تنهك قواه النفسية فينهار فما خرجت سلتهم منه الا بخفي حنين ورتبوا له ان يظل الحراس من حوله لا يدعونه يجلس ولا يقعد ولا تغمض له عين ، فاذا تلوى وهو غير شاعر بتلويه ، لكزه الحراس برؤوس الحراب في لحمه . هذه آيته الاولى ، ويعرفها الكثيرون . واما الآية الثانية فان اخاه كامل البساط كان وقتئذ مـن الحراس في المجلس العسكري على الموقوفين رهن المحاكمة ، فاستطاع بطريقة عميقة ان يسهل له طريق الفرار فأبى .

كما ان مواقف الشهداء في المجلس العسكري في عاليه كانت رائعة في الرجولية الفريدة ، وقد ذكرنا موقف توفيق البساط مثالا ، كذلك كانت لهم مواقف رائعة وهم يصعدون المشانق في « ساحة البرج » في بيروت (سميت ساحة الاتحاد بعدئذ) . وعار ثم عار علينا نحن الذين يهمهم امر ذكرى الشهداء سنتي ١٥ و ١٦ الا تقوم فينـا الهيئات الكفية لاستقصاء اخبارهم ، ما دق منها وجل ، وتزين بصورهم ورسومهم وتطبع في كتاب انيق .

فلما نقلوهم مـن عاليه الى بيروت ليلا ، بطريقة مكتومة مخفورة بقوة ملحة مكبلي الايدي ، ليعلقوهم مع الفجر في الصباح التالي ، ووضعوهم في غرفـة منفردة مطوقة بالجند ، ريثما يؤخذون اثنين اثنين او ثلاثة ثلاثة الى المشانق المهيأة شبه دائرة ، انطلقوا بالاناشيد العربية ، وهم واضعوها وملحنوها ، كالرعد يشق بقايا الليل البهيم ، كأنهم يسمعون من لهم آذان للسمع :

نحـن ابنـاء الألـى شادوا مجـدا وعلى

ويعسوبهم في صرخـة النشيد الشهيد عمر حمد الشاعر المتوقد . وهذا النشيد الوطني القومي المثير هو للشهيد سليم الجزائري (ابن اخي الشيخ طاهر الجزائري باعث عصر النهضة في سوريا ولبنـان وفلسطين) وضعـه « للمنتدى العربي » في الآستانة يضاهي به نشيدا تركيا طورانيا يسري في تحريـك الايقاظ هـذا المسرى(1) .

« ولما وصل الشيخ الى عبد الغني العريسي وقال له : اشهد يا عبد الغني (قل كلمة الشهادة) وقف ذلك الشاب الشهيد واجابه بصوت جهوري : اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ، واشهد ان الخلافة للعرب ان شاء الله »(2) .

ولما جاء الجنود بثلاثة جدد الى المشانق هم عمر حمد وعبد الغني العريسي وعارف الشهابي ، وكان البوليس قد طلب من عبد الغني ان يخرج من الدائرة الى الساحة مع عمر حمد وحدهما ، فقال له عبد الغني : اذهب وقل لرئيسك ان عبد الغني يطلب ان يموت ورفيقه الامير عارف ولا يحب ان يفترق عنه حتى في الموت . فذهب البوليس ثم عاد وقال له : حسن ، فسيذهب معك (راجع مؤتمر الشهداء) وخرج الثلاثة معا في تلك الساعة من الليل الى ساحة المشانق وهم ينشدون الاناشيد بصوت واحد له هيبة وجلال كأن المنشدين جوقة ملائكة .

ولما جاءت نوبة الشهيد عمر حمد لصعود كرسي المشنقة تهيأ ونادى بسقوط السفاح بملء صوته ، فاضطرب المولج بأمره فضرب الكرسي من تحته قبل احكام الحبل في عنقه فهوى الى الارض وشج رأسه فأمسى بين ميت وحي ، فما كان من ذلك الشرطي الوحش الا ان شك عمر بالسيف وتعاون على عمر شرطيان رفعاه حتى وصل عنقه الى الحبل وقضى شهيدا (راجع مؤتمر الشهداء) .

وكان موقف عبد الغني العريسي النبـل والاباء ، والشجاعة والايمان ، فلما جاءت نوبته واراد ان يتكلم عارضه البوليس وقال له من يسمعك في هذا الليل فلم يأبه له فأخذ يخطب فقال بصوت له دويه : بلغوا جمال باشا ان الملتقى قريب وان ابناء الرجال الذين يقتلون اليوم سيقطعون في المستقبل بسيوفهم اعناق ابنائك الاتراك .

---

(1) ـ الاناشيد القومية هي جلجلة التاريخ آتية من وراء الشمس والقمر ، وقد كان « المنتدى العربي » في الآستانة قفير نحل دويه لا ينقطع بالاناشيد المنعشة للروح . وعلى ذكر اناشيد الشهداء هنا قبل اخذهم الى المشانق لا باس ان نورد هنا ما اخبرنيه الامير فايز الشهابي من هذه الناحية ، وهو نفسه كان يروي معظم الاناشيد العربية التي وضعها الشهداء في الآستانة وله ذائقة موسيقية واذن قناصة : والقصة هنا تتعلق بالنشيد المشهور بالعربية منذ ايام « المنتدى » واوله :

نحن خواضو غمار الموت كشافو المحن
ما لنا غير ارتداء العز او لبس الكفن

كان نابغة الموسيقى وديع صبرا قد اكمل تخرجه في فنه في باريس ، وهو عالي الجبهة رفيع الرأس يريد مجالا لممارسة نبوغه في بلاد عربية اذا امكن . فجاء الآستانة ومما في جعبته « نوطة » لنشيد يريد له كلاما . فاخذ يعرض بضاعته على المراجع المختلفة ولا سيما العسكرية . وليس « للمنتدى العربي » علم بوديع صبرا وطموحه بعد . فلما ذاع امره في بعض المحافل اطلع « المنتدى » على شانه فاتفق معه على ان الرصافي يضع كلمات عربية للنشيد فوضعها الرصافي موفقا توفيقا تاما . وحصل ان « توفيق فكرت » شاعر الترك بوقته ، وهو عندهم كشوقي او حافظ عند العرب ، وضع كلمات تركية للنشيد تتلاقى وكلمات الرصافي لانهن جميعا على لحن واحد . واشرف صبرا على العمل كله . واتفق العرب مع مسؤولي الجيش العثماني على أن يكون اعلان هذا النشيد بأصوات جوقة العرب واصوات جوقة الترك معا في ميدان « التقسيم » وهو اعظم ميادين الآستانة . فلما تقابلت الجوقتان والموسيقى العسكرية القائدة ، و « المايسترو » بثوبه العسكري وانطلق العزف والنشيد ، عربيا من هذه الناحية ، وتركيا مـن الناحية المقابلة تذبذب الجو على الايقاع الموسيقي ، والجيش والخلائق يسمعون وختم الامير فايز كلامه بوصف الشعور العربي فقال : لقد خال كل شاب عربي منا ساعتئذ انه ابن اليرموك والقادسية .

(2) ـ راجع « مؤتمر الشهداء » ص ١٦٧ وما بعد . وجاء تعريف هذا المؤتمر تحت اسمه في صفحة الوسمة هكذا : « المؤتمر الذي اذاع الاماني القومية وجر اعضاءه الى المشانق » ثم جاء تحت هذا الكلام : « بقلم عصبة من الكتاب الاحرار . مهد له يوسف ابراهيم يزبك » .

ان الدول لا تبنى على غير الجماجم وان جماجمنا ستكون اساسا لاستقلال بلادنا (راجع مؤتمر الشهداء) .

ولما جاء دور الامير عارف لم يتركه الجند والشرطة يتكلم اكثر من بضع كلمات اذ عاجلت الحبال عنقه .

وقال توفيق البساط لما دنا من الارجوحة : مرحبا بأرجوحة الشرف ! مرحبا بأرجوحة الابطال ! مرحبا بالعمد التي تستند اليها الامم في استقلالها ! مرحبا بالموت في سبيل الوطن ! فقضى شهيدا مثل اخوانه (المرجع نفسه) .

في ١٩٦٣/٥/٧ اصدرت جريدة الحياة في بيروت عددا تاريخيا في ذكرى الشهداء الكرام الذين علقهم السفاح في سنتي ١٥ و ١٦ في بيروت ودمشق . ومما تضمنه ذلك العدد ، مقال مهم فريد لاحمد العريسي ، ابن عم الشهيد عبد الغني . وكان احمد في نحو الثامنة عشرة وقتئذ ، وهو يصف في هذا المقال المشاهد كلها وقد شهدها ورآها ، وخاصة كيفية نقل الجثث ودفنها في حفرة واحدة صباح ٦ ايار ١٩١٦ في المحل المعروف « بتلة الدروز » في رأس بيروت . وكل عربي استطاع قبل ١٦ سنة ان يحتفظ بنسخة من ذلك العدد من « الحياة » فقد احتفظ بكنز ثمين فريد ، ولماذا ؟

لقد تمكن احمد العريسي ، بواسطة احد اقربائه من اهل الشجاعة ومعاونة اهل المحلة ، ان تنبش الحفرة في اول ليلة وتستخرج الجثث المتراكم بعضها فوق بعض ، وتسلم كل جثة الى اهلها لتدفن في قبر منفرد في التلة نفسها . ولما عثر على جثة الشهيد عبد الغني العريسي ، كان « فرمان الاعدام » لم يزل معلقا على صدره وعليه آثار الدم والرطوبة ، فنزع هذا « الفرمان » ووضعه احمد العريسي في صندوق ولم يعلم احدا بهذا . وثاني يوم علمت السلطة بنبش الحفرة واستخراج الجثث ودفن كل شهيد في قبر منفرد ، فلم تحرك ساكنا .

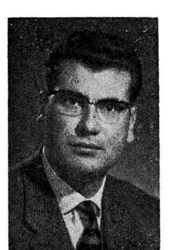
ونشرت «الحياة» في العدد المذكور صورة زنكوغرافية « لفرمان الاعدام » للشهيد عبد الغني العريسي ، وهو الفرمان المبني على قرار المجلس العسكري في عاليه ، وهو في الجريدة بحجم ٢٦ × ١٨ سم. ومثل هذا لعمري نعتقد انه يحدث لاول مرة في تاريخنا .

وهناك ناحية اخرى في المقال ذات بال نلفت اليها النظر ، وهي ايراد ثلاث روايات او اربع لكيفية وقوع الشهداء بيد السلطة العثمانية في مداين صالح سنتئذ ، ثم نقلهم الى دمشق ثم الى عاليه ، وهذه الروايات التي اوردها السيد احمد العريسي ، ويشكر على ذلك من باب الحرص على جمع اخبار الشهداء تاريخيا ، وان كان بعضها يتقارب من الرواية التي جئنا بها اليوم مدونة عن لسان عبد الرحمن الرشيدات فيما يتعلق بالقاء القبض على الشهداء ، غير ان روايتنا الحالية لعلها اقرب الروايات الى الواقع الذي لاريب فيه .

ونكرر ايضا : ان ما يتعلق بوجود الشهداء في جبل العرب لاجئين اواخر ١٩١٥ لم يسبق بعد ، ان احدا استطاع اعلامنا تفصيل ذلك وانتقال الشهداء الى سكاكة والجوف بعد وادي السرحان في طريقهم الى ابن الرشيد في حايل ، ومقصدهم النهائي « المدينة المنورة » غير الامير فايز الشهابي كما بينا هـذا في محله . كذلك تفصيل عبد الرحمن الرشيدات يعطينا معلومات واضحة جدا رحم الله هذين السيدين العربيين رحمة واسعة واسكنهما مع الشهداء فراديس الجنان .

ونتمنى ان يعتنى بأخبار الشهداء عناية عملية تفضي الى تأليف هيئة كفية تتخذ على عاتقها القيام بهذا العمل ، والقيام به اليوم أيسر منه بعد مدة اذ كلما تباعدت الايام تنوسيت الحوادث وغابت الاذهان ، وأمة بـلا تاريخ شهدائها امة خرساء . والله فعال لما يريد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

رأس المتن ــ لبنان **عجاج نويهض**



عيسى فتوح

ادب الاطفال في سورية نشأته وتطوره

في مناسبة عام الطفل

بقلم عيسى فتوح

* * *

نشأ ادب الاطفال في سورية في ظل المدارس ، وكانت الغاية منه التعليم والتهذيب وتربية الاخلاق ، والحث على الفضائل ، والتمسك بالقيم ، والسعي للوصول الى المثل العليا ... ولذلك كان كتابة الاوائل من المعلمين خاصة ، وتركز في معظمه على الاناشيد والمحاورات والقصائد الغنائية والتمثيليات التي تحمل الطابع الوطني والقومي ، وتهدف كلها الى تكوين الطفل وبناء شخصيته ، وتلقينه اسس المبادىء السامية ، وتعويده على ممارستها كالمحبة ، والتضحية ، والرأفة بالضعفاء ، وحب الوطن ، والتمسك به ، وهي بالاجمال ذات طابع تعليمي صرف .

لا اعرف من عمل في هذا الميدان قبل عبد الكريم الحيدري ونصرة سعيد في حلب ، والدكتور جميل وانور سلطان وعبد الرحمن السفرجلاني في دمشق ، فقد اصدر هؤلاء الثلاثة مجتمعين كتاب « الاستظهار المصور » في ادب البنين والبنات عن المكتبة الهاشمية بدمشق عام ١٩٣٧ فجاء في حلقتين ، لا يزيد عدد صفحات كل حلقة عن ثلاثين صفحة ، ساروا فيهما على نهج الشاعر المصري محمد الهراوي ، فتحدثوا عن البطيخة والقبرة والاعتماد على النفس والابرة واليراعة والديك والدجاجة ومكارم الاخلاق والعلم والفلاح والقلم وكرة اليد والمصباح والنحل والكتاب والارنب والعمال الصغار والهرة النظيفة ... بالاضافة الى عدد من الاحجيات والاناشيد ... وقد طغى عليها جميعا طابع الوعظ والتعليم والارشاد ، وقلت فيها الحكاية والاقصوصة ، وقد اختيرت لقصائدها الابحر السهلة المطربة المرقصة كالهزج ومجزوء الرمل ، ومجزوء الكامل ، او الغنائية كالرمل والوافر ... من هذه الاحجيات التي تروض ذهن الطفل ، وتدفعه الى التبصر والتفكير قول جميل سلطان في المنديل تحت عنوان « احزر ؟ » :

ماذا الذي ينشأ في الـ ... تراب تحت قدميك
تغزلـه الآلـة أو ... ينسج ما بين يديك
وهو بكل صبح ... مقبل لوجنتيك
احزر ! هو ... قد ... خصص في البيت اليك

وتعتمد قصائد الاستظهار المصور على الوصف الدقيق ، وبعث روح الهمة والعمل والنشاط ، ومن انشط من النحلة ليضرب بها المثل في الداب والمثابرة والصبر والكفاح ؟ يقول جميل سلطان تحت عنوان «نحن والنحل» :

النحلة المبكرة ... تطوف حول الزهره
خارجة من معمل ... لروضة منحدره
ساعية عاملة ... عن ساقها مشمره
ولا تراها أبدا ... عن عمل مقصره
ونحن نمضي في الصبا ... ح للدروس بررة
نكسب في العلم وفي الرضاء خير ثمره
النحل شهد ولنا ... في كل درس سكره

فقد جعل النحل قدوة لنا ، وربط العمل بالمكافأة ، فالنحلة تكافأ على جدها بالشهد ، والطفل يكافأ على الدرس والجد والاجتهاد بقطعة السكر .

وفي قصيدته « اغنية الصغير » حث على الاجتهاد وحب الادب ، والتمسك بالقومية العربية ، واحترام المعلمين ، والتفاني في سبيلهم :

أنا في سن الصغر ... لست أعرف الضجر
همتي فوق البشر ... واجتهادي لا يلين
أنا في سن الصبا ... بت أهوى الادباء
وأحب العربا ... خير قوم أكرمين
أبذل الروح لمن ... علموني في الزمن
ولمن يهوى الوطن ... بين أضلاعي حنين

نهض بأدب الاطفال في حلب شاعران ساهما به مساهمة فعالة ، هما عبد الكريم الحيدري ونصرة سعيد ، فقد نظم الحيدري ديوان « حديقة الاشعار المدرسية »

وطبعه مرتين ، ويضم عددا من القصائد والمحاورات والاناشيد والتمثيليات التعليمية والتهذيبية التي نشر قسما منها في « مجلة الطفل » ، ولما راى تهافت المعلمين والمؤلفين عليها ، واقبالهم على تدوينها ، عمد الى جمعها في ديوان ، لتكون بين ايدي الاطفال والمعلمين على السواء . وقد تحدث فيها عن الوطن والقراءة والبضائع الوطنية والام في المنزل ، والعصفور والطفل ، ونشيد المنسف ، واحدوة الجمال ، والملعب ، ومحبة الوالدين ، والشجرة ، والخريف ، والطيور والصيف ، والمطر ، واجتناب الاشرار ، وعيد الام ، والعلم ، وحيوانات الفلاح ، وعيد الجلاء ، والربيع ، وضرورة الاتحاد ... يقول في قصيدة « العصفور والطفل » :

أمانا أيها الطفل ودع ما يفعل النذل
أخي ، لا تمش كالوحش
تمد الكف للبطش
بافراخي ، وبالعش
فعيشي ، بعد لا يحلو فرفقا ، أيها الطفل

وهي كما نلاحظ تعلم الطفل الرأفة بالطيور الصغيرة ، فلا يلجأ الى تخريب اعشاشها ، وتبصره بالعاقبة المحزنة اذا اخفى فراخها عن أماتها ، ويضعه موضعها ، ويصور له بكاء أمه وتفجعها عليه اذا اخفاه احد عن انظارها ...

ويحدثنا عن ملعب المدرسة ، فلا يدري اهو ساحة للهو ، أم مسرح ، حين يرى الاطفال يلعبون بخفة ورشاقة ومرح ، وقد خلت اذهانهم من تبعات الحياة ، كما يقول شوقي ، في براءة ووداعة ولطف :

أساحة للهو في مدرستي أم مسرح
نلعب في انحائها بخفة ونمرح

فهنا طفل يمثل دور حصان يرفس برجله ، وقد راح فارسه يزجره حينا ، ويشد لجامه المصنوع من خيط دقيق حينا آخر ، وهناك اطفال يجرون كالقطار ، تطفح وجوههم سعادة وبشرا :

ومن مضى ممثلا دور حصان يرمح
يزجره فارسه من خلفه ويكبح
مقوده خيط دقيـ ق ، لا يكاد يلمح
وصبية قد نظموا صفهم ، واصلحوا
يجرون كالقطار والـ وجوه بشرا تطفح

وقصائد الحيدري تعليمية بشكل عام ، يغلب عليها التنبيه والتوجيه والارشاد ، كقوله ينصح الاطفال بألا يشوهوا منظر الحدائق العامة :

صنها بني وارعها كما تصان الجوهره

ويبدو الطابع التعليمي بشكل واضح في قصيدته « حيوانات الفلاح تستيقظ » التي اراد ان يعلم فيها الاطفال اسماء اصوات الحيوانات كالحصان والدجاج والحمار والبقر والحمار والكلب والهر والغنم ... فيقول :

فهب ما في الخم والاصطبل من طائر وحيوان أهلي
وارتفع الصهيل والنقيق والسجع والخوار والنهيق
واختلط النباح بالمواء في الدار ، والهدير بالثغاء

وهذا الشعر خال من الفن ، يفتقر الى الصورة والخيال ، يعسر هضمه حتى على الكبار .

اما الاستاذ نصرة سعيد فقد اهتم بأدب الاطفال منذ الاربعينات ، اذ اصدر لهم ست مسرحيات مدرسية هي : « مصرع الباغي وخيم » ، وهي مأساة في ثلاثة فصول ، و « لتحي الامة » ، وهي مأساة تاريخية في ثلاثة فصول ايضا ، و « السارق والمسروق » ، وهي اوبريت في فصل واحد ، وضع الحانها الاستاذ ابراهيم الدرويش ، و « احكام قراقوش » ، وهي ملهاة في ثلاثة فصول ، اراد ان يجسد فيها شخصية الحاكم المستبد قراقوش ، ويمثل احكامه الجائرة على المسرح ، بغية اضحاك المشاهدين ، من تغلب الباطل على الحق بشكل تبدو فيه الاسباب الموجبة معقولة ، في حين انها تناقض كل منطق .

ومن مسرحياته التي كتبها للصغار مسرحية « فوق الجرح ملح » ، وهي ملهاة في فصل واحد وتليها في الكتيب نفسه مسرحية « خليل وجليل » ، واخيرا « بنت المفتشة » وهي مسرحية تربوية في خمسة فصول ، الفها خصيصا لمدارس البنات ، لانه لم يجد في الادب العربي ــ كما يقول ــ مسرحية واحدة كل اشخاصها من الاناث !

الا ان ديوانه « اغاني الطفولة » الذي صدرت طبعته الاولى في حلب عام ١٩٤٥ فهو اول ديوان صدر في مجال التأليف للاطفال ، وقد بين في مقدمته ان ادبنا العربي ، على سعته واصالته ، لم يعن بالطفولة الا عرضا ، وقد استهدف فيه تربية النشء على دعائم متينة من الاخلاق الرفيعة ، كالصدق والاستقامة ، والشجاعة والثبات ، وعلى اسس مكينة من المثل العليا ، كالتضحية والايثار والمروءة ، والتعاون وحب الحرية ، والقوة والجمال والانصراف الى المرح ، واللهو البريء ، والتعلق بالاسرة والوطن ، واجلال العلوم والفنون ، والاعتزاز بالقومية العربية ...

وكانت غايته فوق ذلك كله ان يستغل ميل الاطفال الى الغناء ، والتكلم بالفصحى لاعتبارها الرباط المقدس الذي يشد العرب بعضهم الى بعض ، وان ينشأ الطفل مطبوعا على حب اللغة العربية ، لذلك بذل قصارى جهده لكي تأتي كلمات الاغاني سهلة مألوفة ، والعبارات خالية من التعقيد ، فيستسيغ الطفل انشادها ، وقد تم ترتيبها من الاسهل الى السهل ، سواء من حيث الموضوع والتعبير ، ام من حيث الموسيقى والالحان ، كقوله في انشودة « لعبتي » :

لعبتي الحلوه
أنت لي سلوه فامكثي قربي
وجهك الباسم فاتن ساطع
شعرك الناعم اشقر لامع

اما الجزء الثاني من الديوان فقد خصصه للفتيان ، ليثير فيهم الهمة والنخوة والرجولة ، بما كتبه لهم عن الجبان ، والوطن الحبيب ، والجيش العربي ، والشباب ، والقوة ... مما لا يدخل في نطاق هذا البحث ، والديوان مصور ، والى جانب كل قصيدة نوطتها الموسيقية ، مما يسهل انشادها وحفظها . واكتفي بهذا النموذج من الجزء الثاني الذي يتحدث فيه عن الجيش قائلا :

ايه يا جند البلاد جيشكم حصن العروبه
قد خلقتم للجهاد وتملكتم دروبه

لا اعرف كتابا آخر صدر للاطفال بعد هذه الفترة الا مسرحية « الفصل الجميل » للاستاذ عادل ابو شنب ، التي صدرت عن دار مجلة الثقافة عام ١٩٦٠ ، ولم يكن غرضها تعليميا ، وهي مسرحية ذات فصل واحد ، كتبها ليسد بها فراغا بينا في ادب الاطفال ــ كما يقول في مقدمتها ــ وليجيب على كثير من التساؤلات الملحة : « لماذا لا يكون للاطفال مسرح خاص بهم ؟ لماذا يعرض كتابنا عن هذا الضرب من الادب ... من اجل الاكباد التي تستحق التعهد والرعاية منذ الصغر ؟ » .

تصور مسرحية « الفصل الجميل » مشهدا لا يمكن وقوعه في العالم المألوف ، كما ان الاشخاص الذين يمثلونها رموز لمدلولات معنوية في اغلب الاحيان ، فهي اذا مسرحية اسطورية ، ابطالها الشتاء ، والفتاة ، والبستان ، والمدينة ، والغابة ، والربيع ، لذلك يؤكد المؤلف على ان يكون الديكور فيها منسجما مع الحوادث الاسطورية التي تعالجها ، وعلى ان تكون الملابس منسجمة ايضا ، وقد كان يظن ان الاقدام : « على مثل هذا الضرب من المسرحيات امر سهل يسير ، وان مسرحية صغيرة كهذه ، لن تستغرق اكثر من يوم وليلة في ابعد الحدود ، ولكن تبين ان التقهقر الى عالم الطفولة ، وانتقاء الكلمات التي يمكن ان تنطق وتفهم بسهولة ، واصطفاء فكرة مشوقة يهتم لها الاطفال ويتابعونها ، امور صعبة جدا » .

كتب حوار المسرحية بلغة قريبة من السجع ، ربما ليمنحه شيئا من التنغيم الموسيقي ، ويبدو قريبا من الشعر ، فيسهل على الاطفال حفظه ، الا انه لم يكن يلتزم ذلك دائما ... يقول على لسان الشتاء : « أنا الشتاء ، صانع الخيرا ت، حامل البركات ، لولاي ما جرت في الربيع الجداول ، لولاي ما كانت في الصيف السنابل ، لولاي ما غنت العصافير والبلابل ... » .

ثم يجب ان ننتظر اربع سنوات اخرى ، حيث يطالعنا ديوان « اغاني الاطفال » للشاعر ابي سلمى (عبد الكريم الكرمي) الذي اصدرته مكتبة اطلس بدمشق عام ١٩٦٤ ويضم سبع عشرة قصيدة وانشودة كلها من نظمه ، ما عدا انشودة « ديكي احبه » التي اختارها للشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان ، وقد وضع الى جانب كل قصيدة نوطتها الموسيقية ، باستثناء القصائد الخمس الاخيرة .

يذكر ابو سلمى في مقدمة ديوانه الصغير الدوافع التي حملته على الكتابة للاطفال ، فيجمل في طليعتها خلو مكتبتنا العربية من هذا اللون الموجه للصغار ، والى ان الادب العربي القديم قد اهملهم كليا عدة قرون ، فعاشوا في عالم عابس صارم ، خال من البهجة والسرور ، وقد توخى « ان تكون الفاظ هذه القصائد الغنائية سهلة ، واوزانها خفيفة ، وموضوعاتها مشوقة ، وان تحمل افكارا بسيطة ونبيلة ، وان تحبب اطفالنا بالطبيعة ، والوطن ، وعمل الخير ... كذلك جاءت الحانها سهلة منسجمة ومنسقة ، تتعاون مع الكلمات والموضوعات على تهذيب وتوجيه تلك النفوس البريئة الصغيرة التي اهملها ادبنا العربي طويلا » .

ولما كان يعرف ولع الصغار بالحيوانات والطيور ، ولا سيما الاليف منها ، فقد نظم لهم اناشيد راعي الغنم ، والببغاء ، والبلبل ، وحدثهم بأسلوب لطيف رشيق عن القطة والديك والعندليب والعصفور ، وحاول ان يكحل اعينهم بمفاتن الطبيعة الجميلة ، ويبصرهم بمحاسنها ، ويطلعهم على اروع ما فيها من بهجة واشراق في : نسيم الربى ، والنهر ، ولم يفته ان ينمي فيهم الاحساس بالقومية العربية ، فكتب لهم : جنة الدنيا بلادي ، ويا رفاق السلاح ، ونشيد الحرس ، وعيد الجلاء ، والوحدة العربية ، ويلفت انظارهم الى واقع اخوانهم اطفال فلسطين الذين نزحوا عن ارضهم وديارهم عنوة في قصيدة الشريد ، كما حاول من خلال قصائده ان يرشد الاطفال الى القيام بواجباتهم ويحثهم على الدرس والاجتهاد ، فيخاطب الطفلة (ليلى) بهذه الكلمات المأنوسة العذبة قائلا :

هيا اكتبي درسك يا ليلى
ثم العبي وقطتي ليلا
وحاذري أن تغضبي

ثم يتحدث بلسان ليلى الى القطة الا تأكل عصفورتها حبيبتها ، وان تنتظر لترى المستقبل الباهر الذي تتوقعه ، ما دامت تسير في دروسها سيرا حسنا ، وترجو القطة الا تشعر بالضجر والملل ، اذا لم تستطع ان تنصرف اليها وتلاعبها ، ففي البيت امها وابوها ، وهي تؤثر كتبها على كل شيء :

يا قطتي لا تأكلي عصفورتي
يا قطتي عصفورتي حبوبتي
تنشد لي في ملعبي

لقد كان ديوان اغاني الاطفال اول لبنة وضعت في بناء شعر الاطفال الحقيقي الصحيح في سورية ، وجمع بين دفتيه كل براءة الاطفال ، وعالمهم الملون الزاهي المليء بالخيالات المجنحة والاحلام الوردية العذبة .

لاحظنا من النماذج التي مرت بنا — باستثناء اغاني الاطفال والفصل الجميل — انها كانت تخاطب الصغار بلغة الكبار الذين ابوا ان يترجلوا عن خيولهم الخشبية ، ليداعبوا طفلا بأنشودة ، او يضعوا على ثغره اغنية او اقصوصة او حكاية ، وهي اقرب الى الانشاء ، منها الى ادب الاطفال . والحقيقة ان هذه المحاولات لم يتح لها ان تتبلور الا بعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧ ، وصدور مجلتي « أسامة » عام ١٩٦٩ ، « ورافع » عام ١٩٧٠ للاطفال ، حيث توجه بعض الشعراء ، وكتاب القصة والمترجمين بانتاجهم للاطفال ، كسليمان العيسى ، وزكريا تامر ، وعادل ابو شنب ، وعبدالله عبد ، وايوب منصور ، ودلال حاتم ، واسكندر لوقا ، وليلى سالم ، ووليد معماري ، ومحمد قرانيا ، ونصري الخوري ، ونزار نجار ، ومصطفى عكرمه ... ومن المترجمين ميخائيل عيد ، وعيسى فتوح ، ونجاة ابو سمره ، وليان ديراني ، وهاشم حمادي ، ورباب هاشم وغيرهم ، وقد احتضنت وزارة الثقافة كل ما نقلوه الى اللغة العربية ، في حين تولى اتحاد الكتاب العرب طبع الانتاج المؤلف للاطفال .

يقول سليمان العيسى(1) وذات يوم افاقت امتنا العربية على كارثة من كوارثها المتلاحقة ، على نكسة حزيران ... في هذه الزوبعة السوداء الخانقة ، التفت الى الاطفال ، رأيت في عيونهم غد الامة العربية ومستقبلها فتساءلت : لم لا اتجه اليهم ؟ لم لا اكتب لهم ؟ لم لا انقل اليهم همومي كلها ؟ الشهيد الذي يسقط على ارض المعركة ، وهو يقاتل الغزو الاسود ، لا استطيع ان انتقم له بأحسن من اغنية تحمل قطرة من دمه ، وتتردد حارة على شفاه الاطفال ... نتوارى نحن نيبس ، نجف ؟ ويأتي اطفالنا امواجا متلاحقة ترفد المد العظيم ... من ايماني بهذه الحقيقة الصغيرة الكبيرة ، المتواضعة الشامخة ، بدات رحلتي مع الصغار ، اخذت اكتب لهم ، اغني معهم ، انفق الساعات الطويلة بينهم ، اختار لهم الكلمة المشرقة ، والصورة الموحية ، والموسيقى المعبرة » .

كذلك يربط القاص زكريا تامر بين نكسة حزيران واتجاه الشعراء والكتاب نحو الاطفال ، غد الامة العربية المشرق ، ليغرسوا في قلوبهم معنى الايمان والصمود ، ويجسدوا في اذهانهم الغضة فكرة البطولة الحقة ، فكأنهم قد يئسوا من الكبار ، فمالوا الى الصغار ، لعلهم يغسلون عار حزيران ، بعد ان يصبحوا شبانا ، يتفجرون عزما وقوة ومضاء فيقول :

« عندما جاءت حـرب حزيران ونتائجها ، ازداد ارتباطي بالواقع ، وصار اكثر حدة وصرامة ، وابتدات انظر الى الصغار نظرة مختلفة . انهم الجيل الذي سيطلب منه في المستقبل ان يجابه عدوا شرسا ، ولذا فلا بد من منحه الوعي وارادة التحدي ، والرغبة العميقة في التغير والحفاظ عليه ... لا بد من ان يكون جيلا قادرا على التضحية في سبيل العدالة والحرية والفرح » .

وقد تكون هناك حوافز اخرى للكتابة للاطفال ، منها خلو مكتبتنا العربية من هذا اللون المحبب الممتع الذي يدور في معظمه حول الحيوانات ، وابطال حكاياته الطيور والانهار ، والاشجار والبحـر ، والسماء ، والريح ، والعصافير ، والقطط وباقي الحيوانات الصغيرة ، أليفة او غير اليفة .

الا ان وجود مجلات للاطفال كان العامل الاهم على تطوير ادب الاطفال ، فأقبل الكتاب على نشر انتاجهم فيها اقبالا شديدا ، ليسدوا نهم الاطفال الى القراءة ، ذلك ان الطفل قارىء ممتاز اذا وجه ودرب ، وذو طاقة جبارة على الحفظ والاستيعاب والنقد ايضا ، يلتقط بسرعة كأنه رادار عجيب ، ويعكف ساعات طويلة على القراءة بلا ملل او كلل ، ولا سيما اذا كانت المادة التي يقرؤها جذابة ، تخاطب مشاعره ، وتداعب احاسيسه ، وتروي ظمأه الى المعرفة وحب الاستطلاع .

يعتبر الشاعر سليمان العيسى من الشعراء القليلين الذين برزوا بشكل واضح في ميدان الكتابة للاطفال ، فقد كرس لهم معظم انتاجه الشعري الاخير ، ففي المسرح الف لهم عام ١٩٧١ مسرحية طويلة بعنوان « النهر » ثم عاد فأصدر لهم عام ١٩٧٣ ست مسرحيات غنائية في كتاب واحد ضم : الاطفال يحملون الراية ، والشجرة ، والاطفال يزورون المعـري ، والصرصور والنملـة ، مستشفى الاطفال ، والاطفال يبنون مدرسة ، ثم مسرحية المستقبل .

يرى سليمان العيسى انه « كما لا تتفتح ازهار الربيع الا بالشمس والهواء والماء ، كذلك لا يتفتح الاطفال على كل جميل ورائع الا بالموسيقى والحركة والغناء » . ويقول ايضا : « دعوا الطفل يغني ، بل غنوا معه ايها الكبار ... ان الكلمة الحلوة التي نضعها على شفتيه ، هي اثمن هدية نقدمها لـه ... لكي يحب الاطفال لغتهم ، لكي يحبوا وطنهم ، لكي يحبوا الناس والزهر ، والربيع والحياة ، علموهم الاناشيد الحلوة ، اكتبوا لهم شعرا ... » .

كتب سليمان العيسى ، بالاضافة الى المسرحيات التي ذكرتها ، طائفة من الاناشيد الغنائية صدرت عـن اتحاد الكتاب العرب تحت عنوان « اناشيد للصغار » عام ١٩٧٥ ، ثم « غنوا ايها الصغار » عام ١٩٧٧ ، كما صدر له في منشورات وزارة الثقافة والفنون العراقية« القطار الاخضر » وهو رحلة غنائية شعرية تتألف من واحد وعشرين

(1) — مجلة الموقف الادبي العدد (١١) آذار ١٩٧٤ .

نجوى الطفولة

ساغنـــي .. لحفيـدي حبنـــا ساغنـــي لصفـيري شوقنـــا
يـــا حبيبـــا لحنانـــي .. قدرنـــا (يا علاء الدين) . يا اغلى المنى
أنـــت أزهـــار بعطـــر وجنـــى أنـــت اشراق ، بنـــور حولنـــا
أنـــت ارهـــاص ، بخـير عمنـــا أنـــت في دنيـــا الامانـــي فكرنـــا
يـــا أنيســـا لفـؤادي كلمـــا لاح نجـم ، بهمـــوم أو دنـــا
يـــا عبـيرا في ثنايـــا ايكنـــا يـــا ملاكـــا في الحنايـــا مسنـــا
بحديـــث الـــروح قـــرت اعـــين بســرور القلـــب تغـــزو افقنـــا
تحتويـنـــي يـــا حبيـــبي بهجـــة عندما تثغـــو ، وتبكـــي كالغنـــا
فمتـــى تمشـــي وترمـــي ماهنـــا أي شـــيء في زوايـــا عشنـــا
ومتـــى تنطـــق (بابا) معلنـــا كنشيـــدي عبقـــري .. شاقنـــا
ومتـــى تحـــرز نصـــرا بينـــا ونجاحـــا ، مستفيضـــا هينـــا
والامـتي ، كـــم تهـــادت بيننـــا مثـــل صبـــح مظهـــر أحلامنـــا
لبـــلادي أنـــت ليـــث بأسنـــا لبـــلادي أنـــت غيـــث وغنـــى
والليالـــي حـــين تمضي بالسنـــا أنت حبـــي يـــا حبيبي يـــا هنـــا

مصر الجديدة — نعمت عامر

نشيدا ، يطوف بها على عواصم الوطن العربي كلها ، ويرسم فيها للصغار طريق المستقبل العربي ، كما ترجم اساطير ايسوب اليوناني شعرا حديثا فلنسمعه يغني مع الاطفال الصغار « نشيد ماما » الحانا لا اعذب ولا احلى قائلا :

مـــامـــا مـــامـــا يـــا أنفـــامـــا
تمـــلا قلبـــي بنـــدى الحـــب
انـــت نشيـــدي عيـــدك عيـــدي
بسمـــة أمـــي ســـر وجـــودي

ولنسمعه يغني معهم نشيد « فلسطين داري » ، حيث يهتف جميع الصغار بصوت واحـــد ، يفيض نبرة وحماسة ، ويتفجر نخوة وحمية :

فلسطـــين داري ودرب انتصاري
تظـــل بـــلادي هوى في فؤادي
ولحنـــا ابيـــا علـــى شفتيـــا
وجـــوه غريبـــه بأرضي السليبه
تبيـــع ثمـــاري ونحتـــل داري

كذلك استطاع الشاعر حامد حسن ، من خلال عمله مدة في مجلة اسامه ، ان يكتب وينشر عددا من القصائد التي لم تجمع حتى الآن في ديوان ، نذكر منها : بلادنا في الربيع ، والبندقية ، وعربي التي يقول فيها :

علمتني في الصبا امـــي وأوصانـــي ابـــي
عش لهذا الشعب عش للعلـــم عـــش للادب

وهناك شعراء آخرون جربوا الكتابة للاطفال فنظموا قصائد قليلة ، لكنهم لم يستمروا ، نذكر منهم : سلامه عبيد ، خليل خوري ، محمد الحريري ، احمد الجندي ، نصوح فاخوري ، محمود السيد ، احمد دحبور ، شوقي بغدادي . . .

ولعل المقام يطول بنا اذا رحنا نحصي جميع من كتبوا للاطفال في مجلتي اسامه ورافع وصحيفة تشرين ، ونضيف اليها البعث الآن ، لذلك اكتفي بذكر اسمائهم ، وبينهم من اصدروا اكثر من كتاب ، كمراد السباعي ، وأسامه دعبول ، وموفق ابو طوق ، ونجاة قصاب حسن ، ولينا كيلاني ، وعبد اللطيف الارناؤط ، وظافر عبد الواحد ، وسعـــد صائب ، وحمد ابو خضور ، ويوسف حلاق ، ودعد حداد ، وهالة النابلسي ، ووليد معماري ، وحسيب كيالي ، وناديا خوست ، وفارس زرزور ، ووليد مدفعي ، ونصر الدين البحرة ، الا ان اكثر الكتاب تعاملا مع الاطفال هم : زكريا تامر ، وعادل ابو شنب ، وليلى سالم ، ودلال حاتم ، وايوب منصور ممن تقدم ذكرهم في هذه الدراسة .

دمشق — عيسى فتوح

هل سبق العرب كولمبوس الى اكتشاف اميركا

بقلم يوسف اسعد داغر

* * *



يكون كولمبوس لقي « مؤازرة » عربية ، محسوسة ، عندما أبحر عام ١٤٩٢ بعمارته المؤلفة من ثلاث سفن وضعها تحت تصرفه ملك اسبانيا للكشف عن طريق جديد للهند باتجاه الغرب يكون اقصر واسلم من الطريق الشرقي ، فأدت به الاقدار ، الى اكتشاف اميركا او العالم الجديد . وقد يكون استمد معلوماته الجغرافية والملاحية ، حول العالم الجديد من ملاحين وتجار عرب . وليس من المستبعد قط ان يكون العرب اسبق من كولمبوس الى اكتشاف اميركا .

هذا هو الراي والفكرة التي طلع بها الدكتور هوى لن لي الاخصائي بعلم تصنيف النبات رئيس دائرة علم النبات في جامعة بنسلفانيا . وكان من اثر نظريته هذه ان جعل السنة العلماء في العالم اجمع تردد بعد النظرية القائلة ان التجار العرب هم اول من اكتشف اميركا ، بعد الفينيقيين ، وقبل كولمبوس ببضعة قرون .

والدكتور لي ، هو من علماء النبات وليس من علماء التاريخ ، ومع ذلك فهو يعتقد اعتقادا وطيدا امكان النهوض بهذه النظرية ودعمها بالادلة القاطعة ، من خلال التفرغ لهذا البحث والتحري عن اوثق المصادر الدفينة في خزائن المخطوطات العربية ومطاويها الدفينة . فأسمعه يقول : « في العالم العربي كنوز مخبوءة لا نظير لها ولا مثيل في هذه المخطوطات الدفينة التي لم تصل اليها بعد ابصار الباحثين والمنقبين . فالتعريف بهذه الكنوز ونفض الغبار عنها ، عملية يعجز اي فرد مهما اوتي ، من صبر جميل وجهد وعلم ونفاذ بصر ، ولا يستقيم الا بالبحث الدقيق والتقصي العميق ، على اساس من المشاركة العلمية ، وفقا لعمل فريق من الباحثين الاكفاء يتجندون لهذا الكشف المديد الذي يستطيع وحده رفع الحجب المسدولة على معرفة الازمنة التاريخية الصحيحة التي فيها تم بالفعل اكتشاف اميركا على يد العرب » .

نشر الدكتور لي نظريته هذه وآراءه الجريئة في المجلة الاميركية نيوزويك من بضع سنوات . ومنذ ذلك الحين راحت الرسائل ترد عليه ممن يهمهم الامر من اساتذة التاريخ والباحثين المحققين في اميركا والعالم وكلها تبدي اهتمام اصحابها الكبير بهذه القضية . ويبدي الدكتور لي اسفه لعدم استطاعته الانصراف لهذه الناحية من هذا البحث الطريف المشوق والمثير معا ، اذ انه منقطع بكليته لاعماله العلمية في منبته الذي يتألف من ١٦٠ فدانا من الاراضي حولها الى منابت ومشاتل ومغارس زراعية ، الا انه واثق كل الثقة بأن العرب الذين يعنيهم الامر ، في الدرجة الاولى ، هم مدعوون ، قبل غيرهم من الناس ، لعملية النبش والتحري على نطاق واسع ، ولهم من سعة الثراء والغنى اليوم ، ما يمكنهم من تجريد حملة من الباحثين للكشف في الخطوطات العربية عن هذا الامر الخطير والانجاز العلمي المنقطع النظير مما يعود على العرب بالمجد الاثيل لهذا السبق العلمي والكشف الجغرافي العظيم .

ولد لدكتور لي في مدينة سوشو ، في الصين وتخرج من جامعتها ومن جامعة بن تشنغ في بكين ، ثم قصد جامعة هارفرد في اميركا عام ١٩٤٠ ، حيث نال الدكتوراه بعلم النبات ثم التحق بجامعة بنسلفانيا يعمل مع فريق من الباحثين .

عاد الى الصين ، عام ١٩٤٦ ، ومنها انتقل الى فورموزا حيث قام بعمل جبار رمى منه الى تصنيف الانواع النباتية والاشجار الحرجية فيها . وفي هذا السبيل نال منحة من المؤسسة العلمية الوطنية ليقوم بعملية تصنيف لاكثر من ١٠٠٠ نوع من انواع النباتات ووصفها وصفا علميا . وعاد الدكتور لي ثانية الى اميركا ، عام ١٩٥٠ وانتسب الى هيئة التدريس في جامعة بنسلفانيا بوصفه خبيرا بتصنيف النباتات واستاذا مساعدا في هذا العلم . وهو متزوج من احدى الصينيات المثقفات التي كانت استاذة لعلم الاحياء (البيولوجيا) ، في احد المعاهد الصينية . ولهذا نراه يصرح :

« هوايتي المفضلة التأريخ للنباتات من حيث نشأتها واصلها ومواطنها وانتشار انواعها المختلفة وهو موضوع مثير حقا ويحظى بعناية الكثيرين ويثير فضولهم » .

وعن طريق اهتمامه بالنبات واقتفاء مراحل تطور عروقه عبر التاريخ ، لفتت نظره نظرية اكتشاف العرب للعالم الجديد وسبقهم كولمبوس اليها بقرون . فقد كان يطالع كتابا لاحد علماء الصين في القرن الثالث عشر للميلاد يدعى « تشو جو كوا » ، ترجم الى الانكليزية ، عام ١٩١١ ، على يد اثنين من الالمان ، هما فريدريك هيرث ، و. روكهيل نشرته الاكاديمية الامبراطورية للعلوم في الصين .

وكان مؤلف الكتاب المذكور جو ــ كو ، تشده اواصر القربى بالاسرة الامبراطورية « صونغ » احدى سلالات الصين التي تولت السلطة والحكم في تلك البلاد ، وقد رئس مدة ، مصلحة الموانىء الصينية ولا سيما الاشراف على السفن الاجنبية التي كانت ترسو في ميناء تشيان شو الواقع في ولاية فوكيان ، وهو مرفأ كان من اكبر وانشط

وكأنما في شعرها قمر

وامتعتني بالصدر والعنق ... وبوردة في شعرها اللبق
وكان وردتها بخصلتها ... قطفت من الغيمات في الافق
وكانما في شعرها قمر ... انواره تفتر في الفسق
وفم كان الفجر لونه ... او انه لمع من الشفق
راحت تحدثني وتغمرني ... وانا اموت بغمزة الحدق
فالحب رغم اللطف يقتلني ... كم فيه من متع ومن حرق
أحببتها وكتمت عاطفتي ... في الحب طي القلب في العمق

زحلة ـ لبنان ... رياض المعلوف

مرافىء الصين البحرية اذ ذاك ، الا انه شاخ وأصيب بالهرم في ما بعد . وقد امتازت السفن العربية على الاخص التي كانت ترسو في المرفأ المذكور ، بالنشاط العارم والحركة المحمومة . وكان جو ـ كو يضبط بدقة ويقيد المعلومات التي كان التجار العرب القادمون الى الصين ، يزودونه بها حول البلدان التي يتجرون معها .

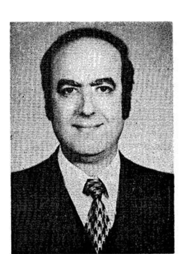
وعلى اثر قراءته وصفا جغرافيا خيل اليه انه يقع وراء جنوبي اسبانيا ، تبين له ان الحياة النباتية والحيوانية في هذا القطر كما جاء وصفها في الكتاب يشكو بعض الشيء من البلبلة والاضطراب لما تحويه من فروق واختلافات ، جاءت مجلة نيوزويك على ذكرها بالتفصيل ، ومن الاوصاف الجغرافية التي تركها جو ـ كو وصف « بحر له رائحة » كان التجار العرب يمخرون عبابه خلال رحلاتهم البحرية التي تدوم مائة يوم وكانوا يفضون بعدها ، الى قطر عجيب يقع في بقعة ما على شواطىء اميركا الجنوبية ، وهذا البحر ، قد يكون في نظر الدكتور لي « بحر سرغاس » كما يؤكد الدكتور لي .

وعن المصادر العربية التي ساعدت الدكتور لي على تكوين نظريته هذه حول امكانية سبق العرب لكولمبوس الى اكتشاف اميركا ، كتاب الشريف الادريسي ، الجيوغراف والرحالة الغربي المشهور (١٠٩٩ ـ ١١٥٣ م) اي في القرن الثاني عشر للميلاد الذي ترك لنا وصفا لافريقيا ولاسبانيا في زمانه ، وهو كتابه الموسوم « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » وفيه وصف البلاد التي جابها وزارها من بلاد الروم واليونان ومصر والمغرب وفرنسا وجزر بريطانيا . وقد وضعه بتكليف من روجار الثاني ملك النورمان في صقلية . وفي كتابه هذا وصف لبلاد تقع وراء « بحر الظلمات » اي ما وراء اسبانيا وافريقيا الى الغرب ، كما يصف المحاصيل الغريبة التي تنبتها جزرها . وفي الكتاب وصف لرحلة قام بها ثمانية من البحارة العرب انطلقوا من لشبونة وادركوا البحر ذا الرائحة ، كما وصفوا جزيرة نزلوا اليها ثم وقعوا في اسر سكانها الى ان افرج عنهم فيما بعد .

وقد وصفوا هذا الشعب اسمر الجلد ، لا لحى لهم ، يبدو النساء والرجال متشابهين ، كما يصفون طائرا بحريا احمر اللون قد يكون طائر الفلامنكو المعروف جيدا بجزر الهند الغربية .

والذي يهتم له الدكتور لي بالاكثر ، ليس اكتشاف اميركا بالذات بقدر ما يهتم بانتشار الثقافة . والسائد لدى العامة ان كولمبوس هو اول من اكتشف اميركا مع العلم ان البحارة الداناركيين بلغت سفنهم في القرن العاشر والحادي عشر شطآن شبه جزيرة لا برادور الواقعة الى الشرق من سواحل كندا . ولكن بعد هذا الذي اتينا على ذكره هنا ، يتساءل كثيرون ، ونحن منهم ، الى اي حد عرف كولمبوس ان يفيد من المعلومات الجغرافية التي تركها الرحالة العرب وتجارهم ، قبل ان يقوم برحلته التي ادت الى اكتشاف العالم الجديد .

يوسف اسعد داغر



الدكتور وليم الخازن

كتابي الجديد : الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية

بقلم الدكتور وليم الخازن

* * *



سمحت لنفسي بأن يطبع كتابي « الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية » ؟ هل كان من الضروري ان ينشر هذا الكتاب ؟ اليست المكتبة العربية مكتظة بالكتب حتى لم يبق فيها متسع لمزيد ؟

اقول هذا لاقتناعي بأن الكتب الكثيرة التي تنشر في بلادنا تقسم الى ثلاثة اقسام تعود الى ثلاث فئات من الكتاب : القسم الاول ينشر في سبيل الشهرة بقطع النظر عن قيمته ، والقسم الثاني لجهل صاحبه قيمته الحقيقية وانعدام النقد العادل ، والقسم الثالث لافادة الناس والباحثين من قبل علماء نذروا نفوسهم للعلم والمعرفة .

وما يقال في اصناف الكتب يقال ، ايضا ، في اصناف الشهادات العالية التي يسعى اليها قسم كبير من الهواة في سبيل اللقب والشهرة ، وحياتهم بعيدة عن حياة العلماء ، بل هم غير مقتنعين ، أصلا ، بأهمية العمل الذي يقومون به .

قرأت يوما ، شعرا يصنف الشعراء اربعة اصناف ، ويقسو على المقرزمين منهم ، ويقول :

الشعراء ، لو علمت ، أربعه فواحد يجري ولا يجرى معه
وواحد يجول وسط المعمعه وثالث لا تشتهي أن تسمعه
ورابع لا تستحي أن تصفعه

وبعد ، أما حان الاوان للمصارحة في بلادنا ؟ أما آن لنا ان يفصل النقد بشدة وحزم بين العمل الناجح والعمل الفاشل ، وان ندع المسايرة في نشاط الفكر والاعمال العامة ؟ لن انادي بعرض كل مؤلف ، قبل نشره ، على لجنة رسمية عليا للحصول على اذن مسبق ، اذ ان ذلك قد يذكر بمكاتب التفتيش في السلطنة العثمانية التي تحدث عنها سليمان البستاني في مقدمة كتابه « عبرة وذكرى » ، ولكن ، يريد القارىء ان يفيد من كل كتاب يعرض في واجهات المكتبات ، واظن ان جودة الانتاج هي معيار مهم من معايير كثرة القراء في الغرب وقلتهم عندنا ، بل دعوني أصرح بما منع الحياء من التصريح به ، وهو ان كثيرا من الكتب التي تهدى الى اهل العلم والباحثين تشكل عبئا على مكتباتهم ، ولا يجدون حاجة لقراءتها .

ولن اتراجع عن التحدث عن كتابي ولو اتهمت بحب الذات او الدفاع عن النفس .

« الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية » في خمسمائة واربعين صفحة من القطع الكبير — منشورات دار المشرق ، وتوزيع المكتبة الشرقية في بيروت — قضيت اكثر من احدى عشرة سنة في تأليفه . واذ كان ، اساسا ، أطروحة للحصول على دكتوراه دولة في الآداب من جامعة القديس يوسف ، رافقني فيه واشرف عليه الدكتور جبور عبد النور ، البحاثة الذي يشهد كل من عمل تحت ادارته ، بعلمه وقساوته . وقد صرح الدكتور عبد النور خلال المناقشة بأنه لو لم يطلب مني التوقف لاندفع قطاري احدى عشرة سنة اخرى ، لأن اللقب والشهادة لم يكونا هدفي اصلا ، وانما ما هدفت اليه هو الاسهام في سد نقص ادبي ووطني ، وفي تأليف كتاب مفيد . والآن ، هل سددت هذا النقص كما أدعي ؟

على النقد ان يجيبني بصراحة وانصاف . وانني اعتب على من يكتفي بالاشادة والتنويه اكثر مما اعتب على الذين يبينون نواقص الكتاب ، فأتلافاها في طبعاته وفي مؤلفاتي اللاحقة .

وهل يعني عملي بالكتاب احدى عشرة سنة انني قاسيت فيه ما قاسيت من تعب وضنى ؟ قد يظن ذلك من لم يمارس البحث الادبي عن طبع وهوى . اما الذي

لقاء في الربيع

هنـــا في روضة الوادي التقينا وغنانـــا الهـوى وبهـــا مشينا
وكفك في يـدي والحب يروي احاديــث المنــى في مسمعينـــا
حكايات تكـاد لهـــا الروابـي تهش وترفـــع النجوى الينـــا
وينفحنا النسيم بكـل عـــرف فتأتلــق الكمائــم في يدينـــا
كـأن شذى الربيع لـــه فؤاد يحس بنـــا اذا سرنـــا الهوينا
فيسكب في جوانحنـــا شميمـــا بـــه في روضة الحب انتشينا
رحيـــق يسكـــر الارواح لكـــن شربنا مـــن جناه ومـــا اكتفينا
الا يـــا حلــوة العينين مـــاذا علينا لـــو مـــن القبل ارتوينا
حريـــق النـــار تعرفـــه قلوب تقـــول اذا احترقنا مـــا علينا

البحرين

احمد محمد الخليفة

اعتاد البحث ، وصبر عليه ، فانـــه ، وان لاقى بعض المشقة في تقميش مراجعه ، تبقى لذته بالاكتشاف ، وغبطته بوضوح الرؤية وبلوغ الهدف ، اقوى واشد .

وكثيرا ما يطرح السؤال التالي : ما هو مدى الابتداع والابتكار في الدراسات ؟ اليس الادب الانشائي اهـــم واجمل ؟

لا شـك في ان حرية التأليف وصولة العبقرية اوفر وابين في الادب الانشائي ، ولكن الدراسات الادبية تتطلب دربة ودراية واسعة في التأليف بما هو تبويب وتفصيل وتنسيق وربط ومعالجة واستنتاج . ثم ان التفاعل مع النص الادبي ، وتفسيره بتفهم وعمق ، وربطه بمختلف التيارات الثقافية ، محـــك لشخصية الباحث وسليقته الادبية .

وقد يكون الادب الانشائي اقرب منالا اذ يرتكز على الايحاء والانطباعية ، بينمـــا الدراسة الادبية ترتكز ، خصوصا ، علـــى المنطق والحجة والاسلوب الواضح السليم . وما دام التفاعل بين الكاتب وموضوعه متوفرا ، فلا سبيل للطعن في القيمة الادبية . واذ كان للاديب ان يختار موضوعه حيث شاء ، فماذا يضير الباحث ان كان موضوعه الادبي مستمدا من مختلف المصادر والمراجع التي يتأثر بها ويحاورها بصدق واصالة ؟

والآن ما هي موضوعات كتابي الاساسية ؟

يحتوي الكتاب على حوالي مائة وتسعين عنوانا مقسمة على محاور معدودة واضحة :

اولا : تفاعل الادب والسياسة في الغرب خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . وهذا المحور هو المعين الذي نهل منه الادباء والمفكرون في النهضة العربية الحديثة .

ثانيا : تأثر الشرق العربي بحالة الغرب في السياسة والادب . وقد اثبت في هذا المحور البواعث التي انتقل التأثر عن طريقها ، والتيارات الوطنية في العالم العربي وتفاعلها مع الشعر العربي عموما .

ثالثا : معالم الوطنية في الشعر اللبناني الحديث . وهو الفصل الاطول في الكتاب . وفيه ، عدا البواعث ، تفاعل الشعر والوطنية في لبنان بحدوده الحالية ، مـــن عهد الامير بشير الشهابي الكبير (١٧٨٨ — ١٨٤٠) الى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) . وفي هذا المحور اثبت كل التيارات الوطنية التي اثر فيها الشعر اللبناني او تأثر بها .

ومما اعتبره مفيدا في كتابي معجم الشعراء اللبنانيين الذي يضم مائة وسبعة وستين شاعرا ، معرفا بهـــم ومثبتا آثارهم الشعرية .

وبعد هذا العرض السريع لمحتويات الكتاب ، ارجو ان اكون قد احسنت التبليغ والمعالجة والاستنتاج ، وآمل ان يرى القارىء فيه لذة وفائدة . والاقرار بالتقصير والنقص من مستلزمات البحث العلمي وشروطه الاساسية .

وليم الخازن

تركت حلبة السباق وخرجت الى الطريق مزهوا بنفسي ، ولم لا !! وقد تخلصت من داء المقامرة اللعين .. تمثلت الصراع بين الجوادين الاحمر والابيض وسقط الضوء في داخلي على احراش الغابة .. القوي يفترس الضعيف ، والفائز يقهر المندحر .. احسست بعشب اخضر ينمو في داخلي ، ودارت في ذهني مقارنة سريعة .. ايهما افضل !! بعثرة النقود في الرهان تعرضا للكسب والخسارة ام امتاع الاولاد بقدر ضئيل من الرفاهية كقضاء يوم في احدى المتنزهات لا شك ان الثانية افضل وربحها مضمون ، واستقر عزمي على قضاء يوم العطلة في حدائق القناطر الخيرية الشاسعة بين الخضرة والماء والوجه الحسن .

*

تخيلت الحدائق منذ عهد قريب عندما كنا نخرج اليها ، ونجد انفسنا منطلقين في مرح ، بعضنا يلعب ، بعضنا يرقص ويغني ، بعضنا يركب الدراجات والحمير ، وبعضنا الآخر يجوس خلال الحدائق ممتعا نفسه بالانتقال من حديقة الى اخرى ، ومن قنطرة الى اخرى . وكم من الاحداث والنوادر تدور بخلدي .. انها تضحكني وتدغدغ حواسي .. ذكريات جمة تعيد الى البدن شبابه ، والى الفكر نقاءه وصفاءه .. دائما وابدا قبل اي رحلة بأيام نعد انفسنا الاعداد الكافي .. يختص احدنا باعداد الطعام ، وآخر باعداد ادوات التسلية كالكرات والمضارب والطاولة وورق اللعب والحبل ، ويهمني في المقام الاول آلة التصوير وكنا نستأجرها من صديق يشتغل بالتصوير ، وفي الصباح الباكر ليوم الرحلة نستيقظ في ميعاد موقوت ، ونجتمع في بيت معتاد .. نعبىء الحقائب ، ونخرج قبل الثامنة متوجهين الى الباخرة ان كانت رحلتنا نيلية ، او العربات ان كانت برية .

كانت رحلات جميلة دون ادنى شك اذ كنا نشعر بالبهجة ونضحك منذ خروجنا .. كان لنا صديق يردد دائما مع بداية كل رحلة « تحللوا من عقدكم ، تناسوا مشاكلكم واوجاعكم » .. وكان هذا المتوقع دائما اذ يندر ان يسمع المرء عن انسان يخرج الى نزهة متجهم الوجه .. كذا يندر ان تثار اي مشكلات عائلية او بين الاصدقاء في مكان خلوي تحيط به انسام هفهافة تداعب القلب والروح .

ويبدا اليوم حافلا بالبهجة .. الصغار يلقون بأحذيتهم ويهرولون فوق العشب الاخضر وراء بعضهم



بقلم جمعه محمد جمعه

البعض .. يتقافزون ، يتشقلبون ، الكبار يتحللون من ملابسهم ويرتدون ملابس اللعب .. الكرات تخرج من الحقائب والمضارب كل يفعل ما يحلو له .. وبعد ساعتين او ثلاث ساعات يجتمع الشمل للغداء .. وبعد الغداء يمضي الوقت كأحسن ما يكون .

كان هذا يجول في راسي كذكريات، وكان ايضا يداخله تخيل للرحلة التي وطدت العزم على دعوة الاصدقاء والصديقات للقيام بها ابتهاجا ببرئي من داء المقامرة اللعين .



*

عدت الى البيت كالمعتاد .. انصرفت زوجتي الى اعمال لم تكن اعمالا بالفعل وانما تظل كذلك حتى تقف على ما في نفسي اما سرورا او غضبا .. تلعن في سرها دائي اللعين .. ظلت تروح وتجيء وانا ارقبها وقلبي هو الذي يضحك .. تكنس الارض النظيفة .. تعيد ترتيب الفراش المرتب.. تفتح زجاج النوافذ لتهش الذباب رغم عدم وجوده .. واحيانا تلوذ بالمطبخ لتغسل الاواني النظيفة .. كل هذه الاعمال تتم قبل عودتي كما عودتها منذ سنين لكن الضرورة لها احكام .. فحتى تتبين حالتي تظل ترهق نفسها وتخلق من لا شيء اعمالا .

لا ادري كيف تسللت الابتسامة الى شفتي في لحظة ، ولا كيف اتفق في ذات اللحظة رؤيتها لابتسامتي .. هدأت انفاسها وتركت ما في يدها وجلست بجواري وابتسامة شاحبة مرتجفة تحتضر على شفتيها .. وضعت ذراعي حول كتفيها مهدئا وقلت :

— ارى فيك اليوم جمالا غير معهود .

قالت بعد ان تنهدت في شبه ارتياح :

— قل ان نظراتك اليوم هي الغريبة .. انا هي انا على الدوام .

ثم اردفت وهي تضع راسها على صدري :

— يبدو انك ربحت اليوم .

قلت : ابدا .

شعرت برجفة انتابت جسدها كله وكأن زلزالا حدث لثوان رفعت راسها وقالت مضطربة :

— يعني ...

قاطعتها بسرعة : ابدا .

قالت مندهشة : لا هذا ولا ذاك فما الخبر ؟

امسكت بوجنتيها وقلت : لـــم اراهن .

قالت في نبرة يختلط فيها الخوف بالحزن بالسرور : الحمد لله .. اخيرا تحقق أملي .. اخيرا ربحت بيتـي الذي كان يسبح فوق بحيرة بنزين .. اخيرا عدت الينا يا حبيبي .

وامسكت بذراعي ودموع تتألق في عينيها : دعني اقبلك عن شوق .

وبعد ان قبلتني قلـت : أتودين معرفة الحكاية ؟

قالت مستعينة بيديها : كلا .. فلينزل الستار على الماضي .

قلت ضاحكا : ينزل الستار .. اترينا كنا في مسرح ؟

قالت متنهدة : واي مسرح !!

*

تناولنا طعام الغداء ثم أويت الى فراشي للقيلولة .. لكنها سرعان ما لحقت بـي واستلقت على الفراش بجواري .

لا ادري الخذتني سنة نوم أم كنت في يقظة .. وجدت امامي جـوادا اخضر اللـون ، لعلهـا معجـزة المعجزات .. او غاية المستحيلات ان يوجد ، او يمكن العثور على جواد اخضر اللون لكنه وجد على ايـة حال .. هـز راسه وأومأ الي ان اتبعه .. قلت متسائلا في دهشة :

ـ اتبعك .. الى اين ؟

قال في صوت أظنني ما سمعت مثله ابدا : نشق عصا الطاعة ونتشبه بالعظام .

قلت متسائلا : ولـماذا قرنـت العظمة بشق عصا الطاعة ؟

قال : لان اصحاب العظمة فوق القانون .

قلت : بديهي لانهم المنفذون له .

ضحك في هدوء ، وعقب : ربما .

قلت : المهم انـك قلـت نتشبه بالعظام .. فيما نتشبه بهم ؟

قال محاولا بث الخوف في نفسي : وتتحمل وزر ما تفعل ؟

قلت شاهقا : وزر ! اذن فهناك ذنب ! لا يا جوادي الاخضر ما اظنك تودي بـي الى التهلكة ، ولا اظنك تبغي لاولادي الضياع والتشرد .

قال : انك خائف .. كـن اذن حيوانا اخرس .

اختفى جوادي الاخضر .. تلفت حولي فرأيت زوجتي تبحلق في وجهي قائلة :

ـ ماذا بك ؟ ايقظتني بانتفاضك . ماذا بك ؟

جمعه محمد جمعه

ـ لا شيء .. لا شيء .

كان لزاما علـي ان اغير دفـة الحديث .. ادركت انـه ينبغي الا تدرك زوجتي اننـي كنت خائفـا ارتعد .. قلت وشبح ابتسامة ارسمه على شفتي :

ـ اتخمنين فيما كنت افكر ؟

ـ لا ادري .

ـ استقر رايي على قضاء يـوم العطلة في حدائق ...

لم تدعني اكمل اذ هتفت :

ـ احقا .. احقا ما تقول ؟

ـ أجـل .

ـ كم انا سعيدة ! وكـم سيفرح الاولاد بذلك !

نهضت وتأكدت من سلامة هندامها في المرآة واستطردت وهـي تهـم بمغادرة الحجرة :

ـ سأزف اليهم هذا النبأ العظيم .

سرعان مـا سرت الفرحـة في البيت.. هاج الاولاد بالحركة وجاؤوا الي ظائطين .. التفوا حول فراشي والفرحة تكـاد تذهـب بعقولهـم الصغيرة .

*

كان استعدادنا طيبا للرحلة .. كلنا فرحون وخاصة اولادي الذين لم اصحبهم معي من قبل الى رحلة ما .. فبعد ان شبوا عـن الطوق كثرت الاعباء ، وازددت تبرمـا بالحيـاة واصبت بداء المقامرة الذي كان يذهب بكل مدخر ويتطاول احيانا كثيرة على ما هو ضروري .. لذا كانت فرحتهم طاغيـة .. وحمدت لـي زوجات اصدقائي هذه الفكرة فهن واولادهن ايضا محرومون مـن التنزه او اي تغيير في نمط الحياة اليومية المقيت ، وهكذا اجتمـع للجميع ان يكونـوا سعداء في مطلع ذلك اليوم .

ركبنـا الاتوبيس النهري الـى هنـاك .. سبقتني افكاري الـى الحدائق تفتش وتختار احسن الاماكن لنزولنا .. حيـث الحديقة فسيحة يلعب الاولاد امامنا ، وبعيدة عن اي اخطار ، واخترت المكـان ووضعت نظاما لليوم كلـه .. موعد الافطار عندما نستقر في مكاننا ، موعد الغداء وموعد الرحيل ، اخترت ايضا الاماكن الجميلة لالتقـاط الصور التذكاريـة والتي كنـا نأخذ فيها منذ سنوات صورا رائعة .

غادرنا الاتوبيس النهري وصعدنا تلا صغيرا مغطى بالعشب يفضي بنا الى الحدائق ، كان التل مزدحما على غير العادة اذ كنا نادرا ما نجد اسرة

تختاره مكانا لقضاء يومها .. انتهينا منه ووجدنا امامنا الشوارع التي تفضي الى بقية الحدائق ، وكان اول ما راعني اسوار السلك الشائك حول الحديقة الكبيرة التي واجهتنا.. قلت في نفسي « مكاننا هناك ولا أظنه محاطا بالاسوار » .. وامتد بنا السير حتى فوجئنا بمن يستوقفنا قائلا :

— ممنوع .

قلت متسائلا في انزعاج : ما هو الممنوع ؟

قال : الدخول الى الحدائق .

قال صديق معنا : وأين نقضي يوم نزهتنا ؟

قال : هناك حديقة مفتوحة للجمهور .

وأشار الى الحديقة التي فوق التل والتي تركناها وراءنا مكدسة بمن تعسهم حظهم مثلنا وخرجوا لقضاء يوم ممتع في الهواء الطلق .

اشتد غضب صديقي فألقى بحقيبة الادوات على طول ذراعه خلف سور من السلك الشائك واخذ يردد :

— كلام فارغ .. كلام فارغ .

قال الحارس وهو يرفع الحقيبة ويعيدها الينا :

— اننا ننفذ الاوامر ولا داعي لاثارة المتاعب .

هدأت زوجة صديقي من ثائرته واخذت الحقيبة من الحارس ، عدنا ادراجنا نفتش عن بقعة صغيرة تضمنا جميعا .. جلسنا في مكان يحف به الطين من جانب والحصى من جانب آخر .. قدمنا للاولاد الشطائر ليفطروا اما الكبار فكفاهم مرارة الحلق افطارا .. تبدد كل ما رسمته في خيالي ليوم جميل وسط الخضرة والماء والوجه الحسن .. نظرت الى آلة التصوير متحسرا .. وازدادت حسرتنا جميعا والاولاد يتساءلون عن مكان يلعبون فيه الكرة ، ويجرون ويمرحون ، ويتساءلون عن سبب احاطة الحدائق بالاسلاك الشائكة ولا من مجيب وفي مخيلتي يدور المثل القائل «من ترك داره قل مقداره» .. ترى ما موقف اولادي بعد ان أملتهم بمتعة قضاء يوم في الجنة .. لا شك انني قد قل مقداري كراسم للاحلام . قل مقداري كمحقق لآمال اولادي الصغار .. قلت في نفسي وانا احاول الفرار من نظرات صديقي « لعل داء المقامرة أهون في شره من هذا الشر على الاقل لا يعرف اولادي عنه شيئا » .. التقت نظراتي بعيني صديقي الذي قال :

— هذه واحدة من المآثر الحاضرة .

بدوت اخرس اللسان .. فلا محل للجدل والنقاش .. الواقع تحت اعيننا يؤيده والدفاع في هذه الحالة باطل الاباطيل .. تضرج وجهي بالدم فالمعروف عني انني اشد المدافعين عن الحاضر الذي خلصنا من حياة الظلام وأمنا الغولة والخفافيش .. ولكن صديقي يستفزني متسائلا :

— ما قولك ؟ اين يقضي الناس المساكين يوم عطلتهم ؟

قلت اداري خجلي متصنعا المزاح :

— امام شاشات التليفزيون في البيت .

بعد ساعتين لا اكثر رحلنا عن الحدائق التي كانت حدائق وانكمشت الى ربوة اعدت لتكون كحائط المبكى عند اليهود .. اجل كدت اذرف الدمع ونظرات صديقي تلهبني بسياط من نار ولا اجد حجة واحدة تشد من أزري وتصلب عودي .. كدت اذرف الدموع ندما على فكرتي بقضاء يوم بين الحدائق وتحول الى ساعتين من الندم والاسى والحزن .. رحلنا والصمت يلفنا جميعا حتى الصغار اعلنوا عن تبرمهم بطريقة او بأخرى .. والكل يرى انه لم يكن يوما ممتعا بل كان يوما شاقا .

جلست في المساء انفث دخان سيجارتي الخامسة عشرة منذ عدنا. ارى بعين صديقي وقد امسك على زلة يجهض بها اي دفاع يمكن ان اشهره حين يتطرق الحديث الى الماضي او الحاضر او المستقبل .. فهو يدافع عن الماضي بكل حرارة . وانا ادافع عن الحاضر بكل قوة . وفي كل حديث تكون لي الغلبة وقليلا ما كنا نتساوى في النقط ، اما الآن فقد تبدل الامر وتغير .

طلبت من زوجتي ان تلقي اعقاب السجائر والرماد المتبقي الذي ملأ المنفضة .. مددت يدي لاتناول سيجارتي السادسة عشرة واذ بي اجده امامي ينظر الي .. يردد في تلاحق :

— تكلم .. انطق .. ارفع صوتك .. افتح فمك .. اكتب .

قلت في اسى : دعني ارجوك .. دعني .

قال : خائف .. الم اقل لك ! اكتب اذا كنت شجاعا ؟

هتفت مغتاظا : لست خائفا .. لقد كتبت من قبل الجواد الفائز .. كتبت عنك .

قال في ارتياح : عظيم .. تكلم اذن .. انفث غضبك في الكتابة .. ها انت ترى بنفسك .

قاطعته ثائرا : لن اكتب شيئا .

هز رأسه موافقا وعقب : آه فهمت .. ستكون كحيوان اخرس .

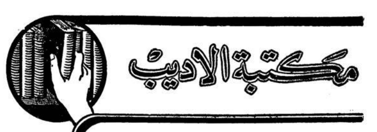
صحت فيه : لا .. لا .. سأكتب .. سأكتب .

صاح صيحة عظيمة تبينت من خلالها كلماته : اذا لم تكتب فهي واحدة عليك.. واحدة عليك .

صحت انا الآخر وهو يختفي : ماذا تعني ؟ ماذا تعني ؟

ولم يأتني الجواب ..

القاهرة — جمعه محمد جمعه



ناجي معروف العبيدي : حياته وآثاره

تأليف عدنان الخطيب — ٣٢ صفحة — مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق — مطبعة الحجاز بدمشق — ١٣٩٨ هـ ، ١٩٧٨ م

كنت في احدى الحفلات الرائعة ، التي اقامها مجمع اللغة العربية بدمشق . في تشرين الثاني ، عام ١٩٧٦ ، احتفاء بذكرى مرور مئة عام على ولادة الاستاذ الرئيس محمد كرد علي ، مؤسس المجمع العلمي العربي ، فاذا بكهل يفيض النور من قسمات وجهه ، يترك صديقي الدكتور عبد الكريم خليفة ، رئيس مجمع اللغة العربية الاردني ، ويندفع الي بحرارة وقوة ، أوقدتها صواريخ عاطفته ، ويمد الي يديه ، ويمسك بيدي ، ويهزهما هزا عاطفيا عنيفا ، ثم يقول :

— ناجي معروف .

فاجبته فورا :

— محمد العدناني .

وما كاد يسمع اسمي ، حتى بدأت هزة يديه المتاججة تخف بسرعة ، الى ان نفد الزيت في خزان عاطفته ، ثم قال لي :

— أعتذر ، لانني ظننتك ، استاذي الذي لا انسى فضله في بغداد ، الاستاذ محمد خورشيد .

فجاء دوري لانقض عليه ، وأعانقه عناقا حارا جدا ، ودموعي تطفر من عيني ، فرحا بلقاء تلميذ ، بل ابن علمته منذ بضعة واربعين عاما ، لان تلاميذي جميعا هم ابنائي ، ثم قلت له :

ان محمد العدناني هو محمد خورشيد نفسه .

ثم حدثته بقصة تغيير اسمي من محمد خورشيد الى محمد العدناني عام ١٩٣٨ ، وهي قصة يعرفها مؤرخو الادب العربي المعاصرون .

وانضم الينا بعد ذلك الدكتور عبد الكريم خليفة ، فعرف انني استاذ الدكتور ناجي معروف العبيدي ، فنظر الي من رأسي الى اخمص قدمي ، وقال :

— ان الدكتور ناجي هو استاذ الدكتور عبد العزيز الدوري ، والدكتور الدوري استاذي ، وأنت استاذنا الاكبر . يا للصدفة الغريبة .

ومرت الشهور ، واذا بي اقرأ في البرقيات الادبية لهذه المجلة الرائدة نبأ وفاة الدكتور ناجي معروف في جدة ، في ١٥ آب (اغسطس) ١٩٧٧ ، بعد تأديته مناسك العمرة ، فصدع النبأ الفاجع اعصابي المتداعية ، واطلقت لدموع قلبي العنان ، دون ان تكفكفها الشفاف ، وانصرفت روحي الى مناجاة حبيبها ناجي .

ومنذ اسابيع حمل الي البريد المسجل ، من اخي الاديب الخالد الدكتور عدنان الخطيب ، نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق ، الذي لا يفلت من يده كتاب نفيس طبعه مجمع دمشق ، حتى يرسله الي ليؤنسني في عزلتي المختارة ، ويمرهم جراح نفسي القلقة على امتي العربية في احلك ايامها .

أقبلت على قراءة الكتيب ، اقبال النحل على الزهر ، والمهمه القفر على ديمة القطر ، والموظف الشاعر الاديب على قبض روح راتب الشهر .

والدكتور عدنان الخطيب عالم في اسلوبه من حيث تركيز المادة ودقتها ، واديب من حيث نصاعة الديباجة ومتانة السبك . وقد جلت في روضته كلها ، فجنيت ما يأتي :

الدكتور ناجي معروف أبواه عربيان ينتميان الى قبيلة عبيد العراقية ، التي ترجع في اصولها الى بلاد اليمن .

ومما قاله عنه الدكتور عدنان : دفع الدكتور ناجي عن الحقيقة ما علق بها من وهم ، وقع فيه ابن خلدون صاحب المقدمة المتوفى سنة ٨٠٨ هـ . ثم جاء من بعده حاجي خليفة ، المتوفى سنة ١٠٦٧هـ يردده في كتابه « كشف الظنون » . ومن بعدهما تلقفه بعض الشعوبيين والمستشرقين ، الذين يكرهون اللغة العربية ، ويدأبون على تشويه الحضارة العربية الاسلامية وتلويث تاريخها .

لقد زعم ابن خلدون : « ان حملة العلم في الامة الاسلامية اكثرهم من العجم ، الا في القليل النادر . ومن كان منهم عربي النسب ، كان عجميا في لغته ومرباه ومشيخته » . وعلل ذلك بقوله : « واما العرب فشغلتهم الرئاسة في الدولة ، وأنفتهم انتحال العلم ، لانه صار من جملة الصنائع ، والرؤساء يستنكفون عن الصنائع والمهن وما يجر اليها ، ودفعوا ذلك الى من قام به من العجم والمولدين » .

لقد هالت آراء ابن خلدون المهلهلة الفجة ، واستغلال المستشرقين واعداء العروبة في الدس على العرب ، والانتقاص من قدرهم ، لقد هالت العالم العربي الدكتور ناجي معروف العبيدي ، فراح يبحث في بطون التاريخ ، ويلاحق الانساب العربية عشرات السنين ، بصبر عجيب ، وهمة شماء ، حتى كشف الوهم الشنيع الذي وقع فيه ابن خلدون ، ومن تابعه في زعمه .

لقد اثبت في موسوعته الفذة الضخمة « ان حملة العلم في الملة الاسلامية جلهم من العرب » مفندا نظرية ابن خلدون التي انتحلها حاجي خليفة تفنيدا علميا دقيقا ، وهو يرسم مخطط انتشار القبائل العربية في البلاد التي فتحها المسلمون ، محدداً المهاجر التي اتخذها ابناء الاسر العريقة موطنا لهم ، مبينا ان العرب ما زالوا يهاجرون ، فينسبون الى البلاد التي هاجروا اليها ، اذا ما تركوها الى بلاد اخرى .

لقد تجمع لدى الدكتور ناجي ، رحمه الله ، اكثر من ألف اسم لعالم او عالمة في المشرق الاسلامي وحده ، كلهم من العرب الاقحاح ، رغم نسبتهم الى بلدان اعجمية ، وبين هؤلاء الفقيه والمفسر والمحدث واللغوي والفلكي والطبيب والمؤرخ والفيلسوف . وقد جاء في مقدمة موسوعته : « لقد ادهشني ان اجد مثلا ان الائمة الستة الكبار ، اصحاب الصحاح الستة ، ينقون بأسرهم الى بلدان اعجمية ، حتى ظننت ، كما ظن غيري ، انهم جميعا من الاعاجم . ولكن الذي سرى عني ، وخفف من دهشتي ، ان اجدبينهم ثلاثة من اصول عربية صريحة ، وواحداً يرجح انه عربي هو الامام النسائي ، واثنين منهم عربا بالولاء هما : الامام البخاري الجعفي ، وابن ماجة القزويني الربعي ، أما الأئمة الثلاثة العرب فهم :

١ — مسلم بن الحجاج النيسابوري ، وهو عربي من قشير .
٢ — وابو عيسى الترمذي ، وهو عربي من سليم .
٣ — وابو داود السجستاني ، وهو عربي من الازد » .

ووجد الدكتور ناجي ايضا أن الصحابي الجليل (صهيب الرومي) ينتمي الى بني النمر بن قاسط ، من ربيعة القبيلة العربية الشهيرة ، وان مغيثا الرومي ، الذي شارك في فتح الاندلس ، عربي من نسل ملوك الغساسنة العرب في الشام . وان جلال الدين الرومي ، صاحب المثنوي المشهور انما هو عربي من سلالة ابي بكر الصديق .

ووجد ايضا ان الاعلام الذين صيغة اسمائهم فارسية هم عرب اقحاح ، فنفطويه عربي من نسل المهلب بن أبي صفرة الازدي ، وابن راهويه عربي من تميم ، وفنجويه عربي من ثقيف ، وابن زنجويه عربي

من الازد ، وابن عمويه هو ابن النجيب السهروردي ، من ذرية ابي بكر الصديق ، ومردويه البلخي ، من سلالة عمر بن الخطاب ، وهو الوطواط الشاعر ، وابن شبويه ، وهو احمد بن محمد بن ثابت المروزي ، المتوفى سنة ٢٣٠ هـ ، وهو عربي من خزاعة ، وسعدويه ، وهو سعيد بن سليمان ، ابو عثمان البزاز الواسطي المتوفى سنة ٢٢٥ هـ ، روى عنه البخاري ومسلم ، وهو عربي من ضبة .

ومما قاله الدكتور عدنان الخطيب : « ان كتاب ناجي معروف ليس من كتب الدعاية التي تخلط حقا بباطل ، انما هو كتاب صدق يجلو حقائق علمية موثقة ، بدراسة مستفيضة واحصاءات دقيقة ، الا انها خفيت — في زمن مضى — على كثير من الناس ، وحتى على علماء وادباء ومثقفين ، كان في مقدمتهم العلامتان ابن خلدون واحمد امين ، وهي حرية اليوم ان لا تخفى على احد من العالمين » .

ويرد الدكتور ناجي اسباب الوهم الى عوامل متعددة تتصل بطبيعة العربي الاصيلة ، وبمبادىء الدين الذي يعتنقه ، مما يحمله على الاندماج بسهولة في اي بيئة اعجمية مسلمة اذا استوطنها ، ويعلل هذه السهولة بقوله : « ان العربي المسلم لا يتطرف في عنصريته ، بل لا يجد فرقا بينه وبين اي مسلم آخر يدين بدينه ، ولان العرب لم يفرقوا بين الشعوب التي حكموها ، وانما زودوها بكل ما لديهم من مثل سامية ، ومبادىء شريفة ، وخصال حميدة ، وهذبوا نفوس الناس بتعاليم الاسلام ، وعلموهم لغة القرآن ، ولم يستعلوا عليهم ، بل جعلوهم كانفسهم يجير عليهم ادناهم ، وعملوا على خدمتهم وخدمة الانسانية جمعاء ، وقضوا على التمايز الطبقي والعنصري ، وانفتحوا على كل ما هو خير للانسانية ، واصبحوا هم واياهم بنعمة الاسلام اخوانا » .

وقد كشفت دراسة الدكتور معروف للدكتور الخطيب حقيقة جديرة بالتتبع والاستزادة من وجوهها ، هي ان عددا كبيرا من العلماء كانوا من ابناء الملوك والخلفاء ، او تحدروا من اصلابهم . وان آخرين حملوا اسماء اعجمية تسترا على نسبهم ، واخفاء لأرومتهم ، في اوقات كانت ملاحقة ابناء من سبقت له الرياسة ديدن من اقتصبها منه .

وذكر الدكتور عدنان الخطيب ان الدكتور ناجي كان يتحلى بصفات العلماء ، وضرب مثلا لذلك حين اعترف الدكتور ناجي بأن محمد كرد علي كان قد سبقه بزمن طويل في الاشارة ، الى عروبة اثني عشر عالما من اعلام العرب المنسوبين الى البلدان الاعجمية ، في كتابه « امراء البيان » . فابن العميد الذي أجمعوا على انه فارسي من اهل (قم) ، لا يبعد ان يكون هو ، او اجداده عربا اقحاحا ، نشأوا في تلك الارض فنسبوا اليها ، وقد حدثنا التاريخ بأن مئات من علماء المسلمين وابناء الانصار والمهاجرين هاجروا الى البلاد التي فتحت على ايدي العرب في الشرق والغرب ، فنسبوا الى اوطانهم ، لا الى آبائهم ، كما كانوا من قبل ، فضاعت بذلك اصولهم .

ومما جاء ايضا في « أمراء البيان » :

« نسبوا صاحب الاغاني الى أصفهان ، وهو أموي عربي ، ونسبوا صاحب القاموس الى فيروز اباد ، وهو بكري عربي ، ونسبوا القزويني صاحب آثار البلاد الى قزوين ، وهو عربي من سلالة بن أنس ، ونسبوا ابن حيان البستي ، صاحب التآليف العظيمة ، ومن طبقة البخاري ، الى بست ، وهو تميمي ، ونسبوا ابا حيان التوحيدي الى شيراز ، وهو من صميم العرب . وكان ابو داود السجستاني صاحب السنن من الازد ، وابو العباس النسوي ، مصنف المسند ، من بني شيبان ، وابو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ، صاحب المسند ، من بني قشير ، والهروي المفسر ، من ولد ابي ايوب الانصاري ، وابو الوليد النيسابوري، فقيه خراسان ، اموي من ذرية سعيد بن العاص الاكبر ، والفخر الرازي ، المفسر ، عربي .

وقال ابن قتيبة : ان خارجة بن مصعب هو من بني شجنة من ضبيعة ، وكان أفقه اهل خراسان ، وكان ابوه مصعب بن خارجة مع علي بن ابي طالب .

اما تاريخ حياة الفقيد الكبير فهو كما يأتي : ولد في الاعظمية ، قرب بغداد في نهاية عام ١٩١٠ م. فاز باجازة في الآثار من معهد «اللوفر» ، وبالدكتوراه في التاريخ من جامعة باريس « السوربون » . اشترك سنة ١٩٤١ في ثورة رشيد عالي الكيلاني ، ثم اعتقل ثلاث سنوات . شغل مناصب علمية كثيرة ، احدها عمادته لكلية الآداب بجامعة بغداد . وكان عضوا في مجمع اللغة العربية بدمشق ، ثم في المجمع العلمي العراقي . وله خمسة وخمسون مؤلفا نفيسا ، ولم يؤلف سوى موسوعته « عروبة العلماء المنسوبين الى البلدان الاعجمية » لكفته الدخول الى « الخلود » من اوسع ابوابه .

ولا بد لي من ان اختم كلمتي عن هذا الكتيب الرائع النفيس ، تشبها بمؤلفه العظيم الدكتور عدنان الخطيب ، الذي ختمه بما نقله عن المغفور له الدكتور ناجي معروف العبيدي ، القائل في صدر موسوعته :

« لو لم اكن عربي الابوين لتمنيت ان اكون عربيا ، لان من يطلع على ما قام به العرب من خدمات للانسانية والعلم والحضارة الانسانية ، ليقف ، اجلالا للعلماء العرب في عصورهم الزاهية وامبراطوريتهم الواسعة.

« ولو لم اكن عربي الابوين نسبا ، لتمنيت ان اكون عربيا بالولاء ، ذلك لان المسلمين قديما ، على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ، قد انتسبوا الى قبائل عربية ، وأسر عربية ، وأعلام من العرب رجالا ونساء ، واصبحوا منهم ، لا يختلفون عنهم في حق ولا واجب ، اعتزوا بالعرب وعلت مكانتهم بهم وبالاسلام .

« ولو لم أكن عربيا نسبا او ولاء ، لتمنيت أن اكون عربيا بالثقافة ، ذلك لان اللغة العربية والثقافة الاسلامية ، كونتا شعوبا واجيالا من الناس ، ما زالت مخلصة للعرب ، تحبهم كانفسهم او اكثر حبا ، لان العربية لغة القرآن الكريم ، هي لغة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولغة اصحابه وهم من العرب . وعروبة الثقافة كعروبة النسب » .

رحم الله المؤلف العربي العبيدي الخالد ، وأطال عمر اديب الضاد والعروبة الكبير اخي الدكتور عدنان الخطيب ، لكي يظل واقفا بالمرصاد لكل من تحدثه نفسه بالنيل من شعبي العربي الخالد ، ومجده الباذخ ، ولغته المضمخة بالرقة والايقاع والسحر والفتنة .

بيروت : شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني رقم ٣

محمد العدناني

* * *

القضية في شعر الامارات

تأليف واصف باقي — تقديم نديم مرعشلي — ٨٤ صفحة — مطبعة (؟)

أهداني الاستاذ واصف باقي ، منذ اكثر من خمسة اشهر كتابه « القضية في شعر الامارات » . فتلقيت هديته شاكرا . ولا ريب اني مطالب بقراءة الكتاب ، واعلان الرأي فيه . فاخذت في قراءته ولكن ظروف قاهرة حالت دون اتمام قراءته ، ومضت ايام كنت منصرفا فيها الى ما ينصرف الناس فيه من امور الحياة ، فيها ما يحب ، وفيها ما يكره . وهذه سنة الحياة ، والحمد لله على الحالين . وكنت اثناء ذلك ، اقرأ ما يكتب عن الكتاب ،

وأسمع احاديث الناس عنه . فكان منهم المادح ومنهم القادح . ولولا مقدمة الاستاذ نديم مرعشلي لقلت ان الكتاب لم يدرس دراسة موضوعية من اي كاتب ناقد متخصص ، ذي مؤهلات وكفاءات ادبية . واليوم أريد ان اتحدث عن الكتاب ، بعد ان اتممت قراءته .

الاستاذ واصف باقي كما يقدمه لنا ناشر الكتاب من مدينة حلب الشهباء ، مربع الحمدانيين ، ومقر صاحب المتنبي ، سيف الدولة الحمداني ، وكفى الشهباء فخرا ان تكون ذلك المربع ، وهذا المقر . ويقول الناشر ان المؤلف « له ممارسات ادبية ونقدية ونشاط ثقافي واسع في مجال الكتابة في الصحف والمجلات والاذاعة منذ أوائل الستينات » ويقول عنه ايضا بانه « أصدر كتاب « ملخص تاريخ العرب المعاصر » طبع في حلب ١٩٦٦ وله ايضا كتاب « امين الريحاني واثره في النهضة الادبية الحديثة » طبع في دمشق ١٩٦٨ والآن بعد رواية « عبير » للنشر » .

هذا التعريف كاف ، لالقاء اشعة كاشفة ، للقارىء ، على خلفية المؤلف الثقافية . وبها نستطيع ان ننتقل مباشرة الى الكتاب نفسه . يقع الكتاب في ٨٤ صفحة من القطع الوسط . يفتتحه الاستاذ نديم مرعشلي بمقدمة شيقة ، وضافية ، في اسلوب فني بديع ، فيه من رقة الشعر حلاوة ، ومن جزالة النثر عذوبة ، حيث يقول عن الكتاب « وبعد أين نحن من الموضوع وما بذله فيه المؤلف من جهد ، وسبر من اغوار ، وهو يجمع وينسق ، يعلل ويحلل .. لقد اغترفنا غيضا من فيض ، ورسمنا ظلا للشجرة في زحمة الدوح من مترامي اطراف الغابة ، وزمالة القلم ما كانت لتعرف الاثرة وانما سجيتها الايثار ، وان كان في النفس منزع للقول الكثير عما كتبه السيد المؤلف في شعر الامارات وما سيكتبه عن شعر الخليج ، ومن انطباعات اثرت في حول هؤلاء الشعراء الذين حدثنا عنهم وعرفنا بشعرهم وما اشد متعتي حين لقيتهم وعرفت عنهم حيث استجليت ملامحهم عبر شفافية الحرف ممن ذكرتهم او لم اذكر وهيهات لمقدمة ان تغني عن كتاب » .

ونقول : ان كتاب القضية في شعر الامارات جديد في موضوعه ، وليس في تناوله شعراء الامارات بالتعريف .. اذ ان المرحوم عبدالله الطائي ، وكان من المقيمين فترة من الزمن في الامارات ، قد سبقه في التعريف بهم في كتابه « الادب المعاصر في الخليج العربي » وهو مجموعة محاضرات ألقيت على طلبة « معهد الدراسات العربية » . ويمكننا القول بعد هذا : ان كتاب الطائي كان السباق في التعريف بشعراء الامارات . وكتاب الاستاذ واصف هو اول دراسة من نوعها عن قضية فلسطين في شعر شعراء الامارات . ولم يسبق الاستاذ واصف ، كما يظهر لي ، في ذلك احد من الكتاب .

يشتمل الكتاب ، بعد المقدمة ، ونبذة تاريخية عن القضية الفلسطينية على ست عشرة دراسة ، غير الخاتمة ، عن تسعة من شعراء الامارات . تناول فيها المؤلف كل شاعر على حدة ، واعطى نبذة عن حياة كل واحد منهم . واظهر بأسلوب رقيق ، وتعبير فني رشيق تأثير القضية في شعرهم ، سواء كان ايحاء او مباشرة . واختار في ذلك المنهج الابداعي في دراسته للقصائد التي تتناول موضوع القضية . فهو يدرسها ، ويحللها ، ويطارد حركة المضامين فيها ، وينثرها في اجزاء صغيرة ، ويرصد تجربة كل شاعر في تجربته النقدية ليربط النص الابداعي بموضوع القضية ، ويختم دراسته بعد ذلك « ان شعراء الامارات في الخليج قد شاركوا بصدق في القضية العربية وجعلوا من انسانها وارضها محور نضال مستمر لا يهدأ توهجه واواره .. كيف تمكنوا من ذلك ؟ بالطبع حين عرف هؤلاء الشعراء ان ثمة اخوانا لهم في الارض المحتلة ، يعانون ويقاومون ويضحون ، فكتبوا مثلهم ما اسعفهم المجال باقلام مضمخة بالدماء ، عارمة بالشوق والحنين ، وبكل ما في قلوبهم من معاني الصدق والوفاء ، اضف الى ذلك ان لهم في كل ما يجد بالساحة العربية من احداث سهما كبيرا ، وموقفا متميزا بالمشاركة الوجدانية الخالصة ، والا لما نبست شفاههم بما تفطرت به قلوبهم ، مما اسمعونا اياه ، ومما قرأناه من نماذج لأشعارهم في القضية مثلا ، كما مر معنا ، لماذا ؟ لان الشعر مخاض ، وليست هذه العملية بالسهولة التي نتصورها » .

وكتاب القضية يسد نقصا ظاهرا فيما وضع من مؤلفات وأبحاث عن شعراء الامارات المحدثين منهم والقدماء . اذ ان مثل هذه الابحاث قليلة قلة ظاهرة ، وذلك لأسباب لا مجال لذكرها هنا . وعلى الرغم من وجود المواد الاولية ، فان معظم ما كتب الكتاب عن شعر الامارات ، في مقالات خاطفة لم يتصف بالجدية والمعرفة الا قليلا منهم ، ومن هؤلاء القلة ، عبدالله الطائي ، والبحيري ، وواصف .

وللكتاب الذي بين ايدينا خاصية نحب ان توجد في كتابات الدارسين لأدب الامارات قصة وشعرا ونثرا ، وهي الاعتماد المباشر على المصادر الاولية مع فهم وادراك للنصوص . وتظهر هذه الخاصة في دراساته حيث تناول المؤلف ، كما ألمحنا الى ذلك ، الشعراء الذين لهم انتاج منشور ، فقدم لكل واحد منهم دراسة جامعة ومانعة كما يقول المناطقة .

بعد هذا العرض الموجز للكتاب بقي علينا ان نورد ملاحظة على الكتاب ، وهي اني لو كنت مكان واصف لأتبعت التسلسل الزمني في منهج الدراسة ، فبدأت اولا بالعقيلي ثم بسالم العويس لانهما من قدماء شعراء الامارات الذين تناولوا قضية فلسطين في شعرهم ، وكانا متعاصرين .

واننا اخيرا نتمنى لمن يتوفرون على مثل هذه الدراسة التوفيق كله فيما هم بصدده من خدمة الادب العربي في شتى بقاعه ومختلف اقطاره .

سطوة — دبي
الامارات العربية المتحدة

احمد امين المدني

* * *

ماذا يقول القبس الاخضر ؟

شعر مصطفى احمد النجار — ٨٨ صفحة — المطبعة العربية بحلب

يواصل الشاعر السوري المبدع مصطفى احمد النجار ، مسيرته الادبية ، ويطلع علينا بمجموعته الشعرية الجديدة « ماذا يقول القبس الاخضر ؟ » . وقبل ذلك أتحفنا بـ « شحارير بيضاء » ثم « الخروج من كهف الرماد » . علاوة على مجموعته المشتركة مع شاعرين مصريين « حوار الابعاد الثلاثة » .

وتتميز اشعار النجار بالغنائية المحببة ، وحلاوة الجرس ، وسلاسة التعبير . ويضمن اشعاره اشواقه ، وتفاؤله ، وحبه للحياة . حتى اننا نستشعر في شعره الحانا شجية تصور لنا اجمل ما في الحياة . انه حريص على تجاوز القبح واظهار الجمال . وأجده اشبه بجراح يستأصل بمبضعه بؤر الآلام من النفوس ، ويحررها من اسار الحزن .

وحين يتطرق في شعره الى التأمل والتفلسف ، فانه يمس هذا الجانب بخفة ، حريصا على روح الشعر . ففي قصيدته « الله وقابيل » ، يتساءل عن كنه الوجود وجذور الخير والشر . ومثل هذه التساؤلات دارت على ألسنة الشعراء والفلاسفة باختلاف منابتهم ومشاربهم ، لكن الشاعر يعالجها بطريقته الجذابة ، فيبدأ قصيدته معلنا انه جاء الى الحياة محملا باعبائها واسرارها ! . فيقول :

حملت — يا الله — دالية الوجود
وبلابل الصحراء
رفرفة العيون

تشوق العنب المدمى بالخلود
وتراكض الامل الملفع بالشباب
كن لي الدليل برحلة الفوضى
من ثدي أمي للتراب ؟ .

كما يتساءل عن السر الذي أودعه الله في الانسان :

هل للسماء يفر من جسدي الضياء
أم فيه ينسكب الضياء ؟ .

هل تاتينا اسرار الحياة من خارج نطاق الجسد ، أم تكمن بذرتها داخله ؟ . هل نحن مظهر من مظاهر الحياة ، أم سبب لوجود ما حولنا من موجودات ؟ . والتساؤلات عديدة ومتنوعة . وكلمات شاعرنا اشبه بخلايا ضوئية مركزة ، ترسل اشعتها في كل اتجاه . وصيغة التساؤل يحرص عليها الشاعر حتى نهاية قصيدته ، حيث يطرح سؤالا اخيرا عن نزعة الشر ومغزاها :

يا رب أنصفت الوجود
وخلقت انسان الوجود
لكن يحيرني سؤال
من أين أبدأ بالسؤال
(قابيل) يسرقني السؤال ؟ !

ثم نعيش معه لحظات صوفية ، يتسامى فيها على نزعات الجسد المادية ، واذا الذي يربطه بالحياة ومضات ضوء سماوية يجد فيها البقاء والخلود . وتعد « ومضة روح » من اروع قصائد المجموعة ، لولا قصرها ، وكان الامل المرجو هو الاسترسال في خواطره الصوفية الجميلة ، تعميقا للفكرة الجيدة ، واشباعا للتذوق . يقول في قصيدته :

ساعيش الآن فلا حزن ويرف شراع تابوت
فالموت مضيء وجميل وخلود ان نحن نموت
يا رحلة حب ابدي يتحرر قلبي المكبوت
يا رحلة اشواق عليا يا يونس اخرجك الحوت
نتوضأ احنائي فهنا صلوات خضر ملكوت
اتذكرها دنيا أسنت هدر العمر « الكبريت »
اتسامى .. اتفيأ نورا كم عانيت الآه شقيت
واردد : يا شوق الروح ، يا ظمأ .. وسقيت سقيت
لا يفنى من عشق الله . وتموت الاهواء تموت .

واهم ما يميز الشعراء هو انسلاخهم من واقعهم المادي ، وتمردهم عليه ، وتحليقهم في سماوات الخيال ، فنعبر معهم اجواز الفضاء ، متعايشين مع خيالاتهم التي تشكل لنا الحياة بتكوينات فنية زاهية الالوان ، رائعة النغمات . وشاعرنا يعزف على وتر « التسامي » ، ويحمل لواء « التمرد » على واقعنا المادي ، او جسدنا الترابي ، وهو في تضاعيف قصائد المجموعة يبث في نفوس قارئيه هذه النزعة ويلونها بالوان مختلفة ، من قصيدة لاخرى ، وها هو بعد ما عشنا معه « ومضة روح » الصوفية ، نجده في « القراءة الثانية » يبحث عن ابجدية جديدة ، ارقى من تلك المتداولة على السنتنا :

اتعبتني لغـــة	مـا وعاها منطقي
فاقرئي لـي لغة	ترتقي .. وترتقي
للاعالي خلقت	ألف احساس نقي

ويتطرق الشاعر لفكرة « الموت » ، فيبث خواطره في تضاعيف قصائده ، ويهمني هنا ان استعرض تلك الخواطر :

الاديب

٥

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٢٥ ليرة لبنانية

●

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

●

في الخارج العربي : ١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار :

٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية : ١٠٠ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج ٣٠٠ ل.ل. او ١٠٠ دولار كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء أنشرت أم لـم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

الادارة : ٢٢٣٨١٩ — Dir. 223819
المنزل : ٢٢٥١٣٩ — Dle. 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨—١١

بيروت — لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البـير اديـب

في قصيدة « الله وقابيل » يتساءل :

هل للربيع ...

تقوم دالية الحنان

هل للرحيل المشتهى

يرتاع ايقاع الزمان

وفي هذه الصورة مقابلة بين الربيع او الحياة ، وبين الرحيل المشتهى او الموت . والموت هو رحلة الى عالم المجهول ، يهجس للشاعر هاجسه بانها لحظة يضطرب فيها بندول ساعة الزمان ، اشتهاء لعناق تلك الحقيقة المجهولة . ودائما يثيرنا المجهول بغموضه وأحاجيه .

وفي « ومضة روح » يتمنى لو يتحرر من اسار الجسد الفاني ، متساميا ، متجها الى الله ، حيث الخلود والبقاء :

سأعيش الآن فلا حزن ويرف شراع تابوت

فالموت مضيء وجميل وخلود ان نحن نموت

وفي « نشور » يقول :

انني أحيا بموت ، ان في الموت نشوري

مؤمنا بان ما يبقى من الانسان بعد موته هو اجمل ما فيه ، وابقى من جسمه الترابي ، تبقى مبادئه واعماله ، تشع الضوء وتمهد الطريق .

الرحلة عبر مجموعة « ماذا يقول القبس الاخضر ؟ » رحلة شائقة ممتعة ، نقرأ فيها كلمات خضراء من نفس صافية ، اشبه بطائر حب يرفرف في سماء حياتنا ، ويغرد بأصوات ملائكية رائقة عذبة . وتتميز هذه الأشعار باليسر والسلاسة ، وملاءمتها للذوق الفني . فلا نعثر على كلمة نشاز ، او تعبير مجاف . كما تمرد شاعرنا على تلك الآفة التي وصمت شعرنا العربي في حقبة الستينات ، ولما يزل بعض الشعراء يصرون عليها ، ألا وهي آفة الغموض . ومثلما نجا الشاعر من ذلك الغموض ، وتلك التهويمات التي جرحت القصيد العربي ، ايضا حرر نفسه من الرمزية الموغلة في التعقيد ، ولم يشأ التعريج على « الرمزية المحببة » ايضا ، وشاء ان تكون كلمات قصائده واضحة سلسة طيعة ، ولهذا اتسمت بطابع الغنائية ، مما جعله اقدر على بث اشواقه ولواعجه ، وعزف الحان أغانيه .

كما أجد شاعرنا مثلما قلت عنه في مقال سابق(1) ، متذبذبا بين الشعر التقليدي والحديث . ولو انه يحاول الدفاع عن نفسه ، بانه يضع فكرته في الاطار المناسب لها ، ويكره ان تكون بحور الشعر التقليدية قيدا على افكاره ومشاعره .

وللشاعر الحق في الدفاع عن وجهة نظره . لكنني كقارىء محب لأشعاره ، أجده في قصائده التي يلتزم فيها الوزن والقافية ، اقرب الى نفسي ، وأجد أبياته هذه أوقع في النفس ، وأخلد في الذاكرة ، وتكون الغنائية المحببة اسلس وأعذب وأرق من سواها من أشعار . المس ذلك في قصائده : ومضة روح — القراءة الثانية — نشور — حب لا يعرف اليأس — جمال بلا حدود — للغد الثاني . وان كنت لا أنكر اجادته في قصائده الاخرى .

وقد لاحظت ان بعض قصائد الديوان ، مركزة في ابيات قليلة ، وهذا لا يعيب الشعر ، ورب بضعة ابيات تغني عن ديوان كامل . ولكن اذا صاحب هذا التركيز ، عدم اشباع لفكرة الشاعر ، او تجربته الشعورية ، فان هذا يقلل من العمق المنشود لفكرته او تجربته . فمثلا اجد قصيدة رقيقة مثل « للغد الثاني » ، ولكن الشاعر ينهيها قبل أن أتشبع بفكرته ، وقبل ان اتذوق حلاوة ابياته . مثل الحبيب الذي يجالسنا لحظات قصارا ثم يبارح المجلس ونحن أشد شوقا للاطالة وامتاع النفس بمؤانسته .

ولعل تلك العجلة في صياغة القصيدة دون اشباع ، تعكس روح العصر ، واضطراب نفس الانسان ، وتوزعه بين امور شتى ، او قل تعكس روح القلق التي تواكب مسيرة حياتنا . وان كنت أناشد الشاعر — وأضرابه من شعرائنا الاحباء الاصفياء — ان يتمردوا على منطق العصر المادي ، وأن تتزاوج اشعارهم بأقمار الحب في امسيات حلوة صافية لا يشوبها كدر ، ليوقدوا قناديلهم الزيتية ، ويتساموا بكلماتهم الخضراء الشجية . فالشعراء هم عزاؤنا فيما نعاني من آفات العصر ، وهم سلوانا فيما تبتلينا به اقدارنا ، وهم الواحة التي نتفيأ بظلال نخيلها ، ملتمسين النبع الصافي للوجدان .

(1) — مقال (شاعر الاشواق مصطفى النجار) — مجلة (صوت الشرق) — أبريل ١٩٧٧ .

القاهرة حسني سيد لبيب

* * *

أناشيد البعث

شعر علي الحلي — وزارة الثقافة والفنون — ١٠٠ صفحة — دار الحرية للطباعة — بغداد

كتابة الاناشيد مهمة تتطلب اختصار الفكرة وسلامة التعبير واختيار المفردة الموسقة ذات المدلول السليم في اسلوب غنائي يطرح نفسه طرحا على اوتار الموسيقى وقد نجح الاستاذ الشاعر علي الحلي في هذه التجربة الفريدة نجاح الشاعرين الاستاذين محمد جميل شلش وعبد الجبار الماشور .

يضم الديوان اربعة عشر نشيدا موزعا على مائة صفحة بضمنها نشيد باللغة الانكليزية وهو تحية الى عام المرأة الدولي اداء فرقة الاتحاد العام لنساء العراق لحن الاستاذ فؤاد عثمان .

تولى تلحين بقية الاناشيد الاساتذة كنعان وصفي ووليد غلمية والياس رحباني وسعيد شابو وفرسان خليفة وروحي الخماش وجمال حجازي .

من نشيد « اطفال الغد » :

نحن أطفال الغد

من زنود العمل

من شموس الامل

في ضحى المستقبل

ورفاق العرب

في دروب الشهب

نحن أطفال الغد

المجموعة من تصميم نضال الآغا وصبحي الحبوري وخطوط خالد الخالدي واشراف محمد هاشم .

الكوت — العراق كاظم محمد حسين